أدوات جمع البيانات والمعلومات

مقدمة :

١. الملاحظة.
٢. تسجيل الحياة اليومية(الطريقة السيرية).
٣. تسجيل تاريخ الحياة الخاصة(الذكريات والسير الذاتية).
٤. وصف وتحليل إنتاج الأطفال والمراهقين(منهج تحليل الوثائق الشخصية).
٥. تحليل المحتوى.
٦. طريقة تاريخ الحالة وطريقة دراسة الحالة.
٧. الاستبيانات.
٨. المقابلة.
٩. الأساليب الاسقاطية.
١٠. مقاييس التقدير.
١١. الاختبارات والمقاييس.
. كلمة ختامية.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة:

يطلق اصطلاح " أدوات البحث " Tools على الوسائل والأساليب التي يجمع بها الباحث البيانات والمعلومات التي تلزمه.

ومن المعروف أن بدايات جمع المعلومات والبيانات اعتمدت على دراسة الباحثين للملامح الأكثر وضوحًا فى أساليب وسلوك الأطفال وخواصهم النمائية النامية، وقد استخدموا لتحقيق هذا الغرض مقاييس بسيطة كالزمن. الكم. الموضع المكاني Spatial position التي قام بتصميمها ـ أصلا ـ الباحثون فى مجال العلوم الطبيعية.

أما فى السنوات الأخيرة فيقوم الباحثون فى مجال علم النفس بوجه عام وفى مجال التربية بوجه خاص. بتصميم أدوات قياس خاصة بهم. ويتوقف اختيار الأداة المناسبة لجمع البيانات اللازمة التي ستستخدم فى إجراء بحث معين، على نوعية البحث نفسه وعلى طبيعته، وعلى الهدف من تطبيقه، وعلى نوعية المفحوصين وخصائصهم، وعلى مدى تقبلهم واستجابتهم. وقد يستخدم الباحث أداة واحدة فقط لجمع البيانات التي يحتاج إليها فى بحثه. وقد يستخدم أكثر من أداة إذا وجد مبررًا لذلك.

(١) **الملاحظة** Observation:

وهي مشاهدة السلوك كما هو عليه فى الواقع، سواء بالحواس المجردة أو بالاستعانة بآلات. ثم تسجيله بالكتابة أو التصوير، أو علي أشرطة، أو مجرد التعبير عنه شفاهة. ولكى تكون الملاحظة مجدية يتعين تحديد السلوك المطلوب ملاحظته والتخطيط الزماني والمكاني لمجال السلوك الملاحظ. هذا وتحتل الملاحظة مكانة

بارزة فى البحث العلمي، لأن المعرفة تستمد بدرجة كبيرة من الملاحظة: ملاحظة جوانب التطابق وأوجه الاختلاف، وملاحظة حالات التلازم فى الوقوع والتلازم فى التخلف، وملاحظة تكرار الوقائع وفقًا لبعدي الزمان والمكان، وملاحظة الظاهرات فى تغيرها ونموها حينما تخضع لمتغيرات جديدة. فالملاحظة وسيلة أساسية لجمع الحقائق عن الظاهرات موضوع الدراسة.

والملاحظة نشاط يقوم به الباحث خلال مراحل بحثه كلها، فهو يلاحظ حين يجمع الحقائق، وهو يلاحظ حين يفترض الفروض. ولقد تساءل العلماء، عما إذا كانت الملاحظة تسبق فرض الفروض أو تلحق بها، واجتمع رأيهم بعد نقاش طويل على أنها سابقة لوضع الفروض مرافقة له ولاحقة به فى آن معًا. والحق أن الباحث لا يني عن الملاحظة قبل بداية بحثه وفى أثنائه وبعده.(فاخر عاقل، ١٩٧٩: ٨٤).

الملاحظة إذن أداة أساسية للبحث السيكولوجي. فالباحث يستخدم الملاحظة العلمية فى كل ما يستخدمه من أدوات العلم المقننة. من تجارب وأجهزة وأدوات وتقنيات مختلفة، وفى تسجيل البيانات التي تتضح من خلال هذه الأساليب. وتتضح مكانة الملاحظة العلمية، مثلاً فى دراسة نمو التلاميذ من حيث بنية الشخصية لديهم، بكافة مكوناتها الجسمية والعقلية المعرفية، والانفعالية، والاجتماعية، ومدى الاتساق بين هذه المكونات فى تنظيم دينامي يتحقق فيه الإبراز والتعميق والتوسيع اللازم لإمكانات الطفل، والتوظيف الأمثل لهذه الإمكانات فى واقع حياته العملية. من هذه الدراسات على سبيل المثال. تلك التي قامت بها جامعة كاليفورنيا تحت إشراف "هارولد جونز" عن النمو فى مرحلة المراهقة، ١٩٤٣، وقد اعتمدت هذه الدراسات بدرجة كبيرة علي الملاحظة العلمية فى تتبع نمو أحد الأطفال لفترة استغرقت عدة سنوات.ومن بين العوامل الكثيرة التي درست:

١- الخلفية الأسرية، والجيرانية والعائلية التي شب فيها الطفل.
٢- الدخول فى مرحلة المراهقة.
٣- استجاباته للمدرسين ولزملائه.

٤- العضوية فى الجامعات الاجتماعية.
٥- تطور النمو الجسمي من خلال الاطلاع على السجلات الصحية.
٦- مظاهر القدرة على التعلم، القدرات الجسمية،واليدوية والعقلية.
٧- الميول والاتجاهات والقيم.
٨- خصائص النمو الانفعالي.
٩- التلميذ كما يرى نفسه(مفهوم الذات)، وكما يقدر نفسه(تقدير الذات) وكما يقدره الآخرون.(طلعت منصور وآخرون، ١٩٨٤: ٦٥).

وقد ذكر "جود"Good(1959) عددًا من النقاط التي لابد من أخذها بعين الاعتبار عند استخدام الباحث لأسلوب الملاحظة وهى:

١- تحديد الفرد أو الأفراد عينة الملاحظة.
٢- تحديد ظروف الملاحظة وشروطها.
٣- تحديد زمان الملاحظة ومكانها.
٤- تعريف النشاط أو السلوك الملاحظ.
٥- التسجيل المباشر لما يقوم الملاحظ بملاحظته.
٦- تدريب الملاحظ.
٧- تفسير الملاحظة.
٨- تواتر السلوك الملاحظ.(عماد الدين إسماعيل وآخرون، ١٩٧٤: ٤١٢).

وتفيد الملاحظة العلمية فى جمع البيانات والمعلومات اللازمة لدراسة حالات اضطرابات الشخصية بكافة مستوياتها ومظاهرها. فى هذه الحالات يتتبع الباحث تطور نمو الظاهرات موضوع الدراسة وما يطرأ عليها من تعديلات وتغيرات. والملاحظة العلمية وسيلة ضرورية لتسجيل النتائج التي تترتب على إدخال بعض التعديلات فى النشاط التربوى أو تجريب طريقة جديدة من طرق التدريس أو إدارة الأعمال؛ فعن طريقها يمكن رصد النتائج التي تطرأ على سلوك التلاميذ أو على مستوي نشاطهم النفسي أو على فاعلية العملية الإدارية كنتيجة للتحسين أو التغيير.

ويعتبر تجميع البيانات والمعلومات اللازمة عن المفحوصين ـ من خلال

الملاحظة اليقظة المنظمة ـ أمرًا لازمًا بالنسبة للبحث السيكولوجي. وتمثل عملية التجميع والتنظيم هذه خطوة أساسية، فهى فى الواقع عملية تتطلب من الباحث أن يكون على بصيرة ودراية بما بين البيانات والمعلومات من علاقات تستلزم تنظيمها فى شكل يتيح فهم المفحوص وما يخبره من مظاهر التوافق أو تعطله وانحراف مساره، كما أنها تتطلب تتبع الباحث للعوامل والمؤثرات فى سلوك المفحوص واتجاهاته.

وللملاحظة أنواع عديدة فهناك: ملاحظة مباشرة؛ كما هو الحال حين نلاحظ ونصف سلوكًا فى موقف معين تحت شروط معينة. كأن نلاحظ أطفالًا وهم يلعبون، أو طلابًا وهم يختبرون فى مواقف الامتحانات مثلًا.

وقد لجأ علماء النفس وبخاصة علماء نفس الطفل إلى طريقة الملاحظة المباشرة للسلوك التلقائي فى المواقف الطبيعية منذ وقت طويل.وقد استخدمها الكثيرون منهم على نطاق واسع. وبخاصة مع أطفال ما قبل المدرسة. ومن أشهر علماء نفس الطفل الذين استخدموا الملاحظة المباشرة فى هذا المجال "جان بياجيه" فى سويسرا، و" أرنولد جيزيل" فى أمريكا. ورغم أن مثل هذه الطرق يمكن أن تتبع مع كل الأفراد من أي سن كان، إلا أنه كلما كان الطفل أصغر سنًا قلَّ احتمال تأثر سلوكه بوجود الملاحظ، كما أنه لا يكون قد طوَّر بعض الواجهات الاجتماعية التي يغلف وراءها سلوكه مما يزيد من تعقد تفسير السلوك. وقد أثبتت طرق الملاحظة المباشرة فائدة كبيرة فى المدرسة، وبخاصة إذا قام بالملاحظة المدرس أو أي شخص آخر، يوجد بشكل طبيعي فى الجو العادي للمدرسة أو الفصل، وقد استخدمت طرق الملاحظة لأغراض البحث أكثر مما استخدمت لأهداف تقييم الفرد. ومع ذلك فكثيرًا ما يدعم علماء نفس الطفل تقييماتهم بمثل هذه الملاحظات التي تتم داخل جدران الفصل وخارجه فى الملعب أو فى المواقف المدرسية الأخرى.

مميزات الملاحظة المباشرة:

(١) تمثل طريقة الملاحظة المباشرة خطوة للأمام فى ناحية الضبط التجريبي إذا قورنت بمقاييس التقدير الرقمية، فتقييم سمات الشخص عن طريق الملاحظة

المباشرة يتم عادة فى المكان،ونحن نقوم بملاحظة سلوك الفرد أو بعده مباشرة، على حين فى التقديرات العادية يتوقف الأمر على الملاحظات العارضة وعلى ذاكرة الملاحظ(المحكَّم).

(٢) تتم الملاحظة المباشرة لدراسة أغراض معينة محددة ونواحي خاصة من السلوك كاللغة، الحركة، السلوك العدواني، أو العلاقات المتبادلة والتفاعل بين الأفراد، بينما تقوم التقديرات العادية على أساس السلوك الذي نلاحظه عرضًا، ومن المحتمل ألا يكون هناك هدف أو قصد وقت عمل هذه التقييمات المنظمة. أي أن الملاحظة المباشرة تتم فى مواقف مختارة يعتقد الملاحظ أن أدلة السمة التي يريد ملاحظتها،يمكن أن تتضح فى مثل هذه المواقف؛ أما التقديرات العادية، فإنها تجري عادة على أساس السلوك فى المواقف العارضة التي قد تتمثل أو لا تتمثل فيها أدلة السمة التي نريد ملاحظتها.

(٣) يمكن أن تتم الملاحظة المباشرة أيضا فى مواقف مضبوطة ومقيدة إلى حد ما، على نحو ما يحدث داخل الفصل أو فى ملعب المدرسة. كما أن الموقف العام يمكن إعادته بشكل إجمالي وتكرار إجراء الملاحظة، أي أن الملاحظة تعتبر شبه تجربة ولكنها، تتم فى ظروف طبيعية، حقيقة إن التقييمات التي يخرج بها الملاحظ تكون عادة فى صورة تقديرات ولكن المعرفة الأساسية التي تستند إليها هذه تبدو أفضل من تلك التي تقوم عليها التقديرات العادية.

وهناك ملاحظة غير مباشرة وهى التي تتم فى ظروف طبيعية وتنبع أهميتها من أن الأشخاص عمومًا والأطفال والمراهقين خصوصًا لا يرتاحون إلى أن يكونوا موضع ملاحظة؛ لما قد يمثله هذا من اقتحام لخصوصياتهم. وهناك ملاحظة منظمة وهى هذا النوع الذي يعنينا الإشارة إليه بتفصيل إلى حدٍ ما لأهميته فى جمع المعلومات فى مجال علم نفس النمو. ولذلك فسوف نعود إلى الحديث عنها بعد قليل. وهناك ملاحظة غير منظمة: كأن يسجل الوالدان كل ما يعن لهما تسجيله من ملاحظات حول أطفالهما دون تحديد لموضوع الملاحظة. وهناك أخيرًا ملاحظة مرحليه أو زمانية، وفيها يلاحظ الشخص على مدى فترة زمنية معينة، وهذه الفترة

قد تكون قصيرة: عدة ثوان، أو قد تكون طويلة: عدة سنوات، وذلك حسب نوع السلوك الملاحظ وهدف الملاحظة وعدد الملاحظات المطلوبة. كما أن توزيع الفترات يختلف أيضًا. فقد تتركز الملاحظات فى يوم واحد أوقد تتوزع على عدة شهور أو حتى عدة سنوات. أما الأشياء التى تلاحظ وتسجل فقد تكون مجرد ظهور أو عدم ظهور استجابة معينة أو عمل معين، أو قد يكون هناك تقدير كمى للأفعال الملاحظة أو بعض مظاهرها.

الملاحظة المنظمة:

أما فيما يختص بالملاحظة المنظمة فهى طريقة تتضمن ملاحظة لسلوك الأطفال فى المواقف البيئية أثناء أنشطتهم العادية. وعندما يستخدم الباحث هذه الطريقة كأداة لجمع المعلومات، فإنه لا يقوم بأية محاولات لضبط أو تنظيم بيئة الطفل، رغم أنه قد يحدد سلفًا أنماط السلوك المراد ملاحظته، وتسجيله إلا أنه عندما يستخدم طريقة الملاحظة المضبوطة يتعين عليه أن يختار قطاعات أو أجزاء صغيرة فقط من سلوك الطفل، ويتخذ منها موضوعًا للدراسة المنظمة.

ويسعى الباحث فى هذه الطريقة إلى ملاحظة نمط محدد من السلوك، وبالتالى فهو مضطر للانتظار لحين حدوث أو ظهور موقف سلوكى معين. وقد استخدمت هذه الطريقة بكثرة فى دراسة مواقف سلوكية مثل مشاجرات الأطفال(داوDawe، 1934) ومناقشاتهم وتساؤلاتهم(ديفيز Davis، 1932) ويستطيع الباحث(الملاحظ) أيضًا أن يأخذ عينات صغيرة من سلوك الأطفال فى عدة مناسبات ومواقف مسجلًا وجود أو عدم وجود أنماط معينة من السلوك ودرجة أو مدى وجودها خلال فترات الملاحظة. وهناك أمثلة توضيحية لكيفية استخدام طريقة الملاحظة المنظمة على هذا النحو. وتوجد هذه الأمثلة فى عدة دراسات عن المشاركة الاجتماعية: Social participation(إبراهيم قشقوش، ١٩٨٨: ٧٣).

وقد استخدمت الدراسة الأخيرة أطفال ما قبل المدرسة، وجرت ملاحظة هؤلاء الأطفال فى مواقف اللعب الحر، وقد لوحظ كل طفل ستون مرة، مدة كل منها دقيقة واحدة. وقام الملاحظ بعملية تقييم لكل طفل فيما بين مرات الملاحظة

على مقياس معد من قبل. وذلك من حيث ما أبداه الطفل من سلوك قيادى أو مشاركة اجتماعية. وأمكن تحديد مدى ثبات هذا الأداء عن طريق حساب معامل الارتباط بين تقديرات الأيام الفردية وتقديرات الأيام الزوجية بالنسبة لكل واحد من الأطفال.

ومما تجدر الإشارة إليه أن من مميزات أسلوب الملاحظة التى تعتمد على عنصر الزمن أنها تتضمن الحصول على بيانات كمية يمكن التحقق من مدى ثباتها عن طريق استخدام أساليب إحصائية مبسطة.ويكون استخدام طريقة الملاحظة على هذا النحو أكثر فائدة ونفعًا، فى ظل ظروف معينة يتم فيها تسجيل سلوك الرُضّع وصغار الأطفال وقت حدوثه، عن طريق استخدام مسجل صوتى أو كاميرا ذات صور متحركة. خاصة أن التسجيلات الدائمة تمكن الباحث من تحليل السلوك المسجل بدقة وإمعان ومراجعة مختلف مكوناته على النحو الذى تقتضيه أية دراسة متعمقة. ويمكن أن يسهل هذا الأسلوب إمكانية التحقق من مدى ثبات ما يتوصل إليه الباحث من استنتاجات، كما أنه يكفل وصفًا أكثر دقة لمختلف أنماط السلوك والنمو(المرجع السابق، ٧٤).

ولهذا، فإنه لأجل تسهيل عملية استمرار تسجيل الملاحظات المتعلقة بسلوك الطفل فى ثنايا نموه، قد تم تصميم عدة أدوات لهذا الغرض بحيث لا يترتب على استخدامها أى نوع من الإزعاج للرضيع أو الأطفال الذين تجرى ملاحظتهم. فقد صمم " نيلسون وآخرون" Nelson et al. فى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين الماضى كابينة تجريبية استخدموها فى دراساتهم على الأطفال الرضع. وقد أدخلت على هذا الجهاز عدة تحسينات فيما بعد، فقد قام كل من "إيروين" 1931)Irwin)، دوكتيري وفالنتين 1939)Docketary & Valentine) بإدخال عدة تعديلات على هذه الكابينة بحيث تضمن للباحث الذى يستخدمها وضعًا بيئيًا ثابتًا ومنتظمًا لدراسة نمو وسلوك صغار الأطفال، إذ أنها على هذا النحو، تتيح إمكانية الضبط الدقيق لكل من درجة الحرارة، ودرجة الرطوبة، ظروف الصوت والإضاءة.

وعندما تستخدم هذه الأداة ـ يوضع الرضيع على منضدة مستوية، تحتوى على

عداد أو جهاز قياس ثابت Stabilimeter يقوم بعملية التسجيل الآلى لما يقوم به الطفل، أو ما يصدر عنه من حركات حسنة، وذلك على شريط متحرك من الورق.

وتشتمل هذه الكابينة أيضًا على نافذة خاصة يمكن من خلالها إجراء ملاحظات بصرية مباشرة لسلوك الطفل. وعلى الرغم من أن جانبًا كبيرًا مما لدينا الآن من بيانات علمية عن سلوك الأطفال حديثي الولادة قد حصلنا عليه من دراسات قامت فيها هذه الكابينة بدور مهم،إلا أنها أُغْفِلت إلى حدٍ كبير خلال السنوات الأخيرة.

وفى طريقة الملاحظة المنظمة قد يلجأ الملاحظ(الباحث) إلى أسلوب الملاحظة غير المباشرة، وذلك باستخدام نظام يتضمن ستارة أو شاشة تسمح بالملاحظة من ناحية واحدة. وهذه الطريقة تسمح للملاحظ برؤية سلوك الأطفال دون أن يصبح-أى الملاحظ-جزءًا من بيئتهم الاجتماعية. وهى تعتبر ذات قيمة كبيرة جدًا فى دراسة السلوك الاجتماعى والانفعالي للأطفال خاصة فى المواقف التى تتطلب من الطفل التفاعل مع الجماعة. وقد صنعت الأدوات الأكثر تقدمًا من هذا النوع من الكبائن من الزجاج، على نحو يسمح بعزلة الملاحظ سمعيًا وبصريًا عن الموقف موضع الملاحظة، وفى مثل هذا الموقف يمكن أن تُلتَقط الاستجابات اللفظية للأطفال موضع الملاحظة عن طريق ميكروفونات غير ظاهرة بحيث تصل إلى الحجرة التى يجلس فيها الملاحظ(أو مجموعة الملاحظين إن كانوا أكثر من واحد).

ويسمح هذا التنظيم بإمكانية إجراء مناقشة بين الملاحظين فى الوقت الذى يكون الأطفال فيه تحت الملاحظة. ويوفر مثل هذا الموقف التجريبى ـ بالإضافة إلى المميزات السابقة ـ تسهيلات خاصة بالتسجيل المستمر لما يمكن أن يصدر عن الأطفال من استجابات لفظية، مما يمثل مصدرًا مهمًا للبيانات فى دراسة النمو اللغوى لدى الأطفال(حلمى المليجى وعبد المنعم المليجى، ١٩٨٢: ٦٢ ـ ٦٥).

ويستخدم الباحثون ـ فى بعض الحالات-الصور الناطقة أو شرائط

الكينيسكوب Kinescope Tapes كإجراءات تجريبية لدراسة سلوك الأطفال ونموهم، وتستخدم هذه الأساليب على نطاق ضيق بسبب ما تتطلبه من نفقات باهظة لشراء الآلات وصيانتها وتجهيزها ومع ذلك ـ فإن أهمية الحصول على مثل هذه التسجيلات الكاملة والدائمة لا يرقى إليها الشك.

وكثيرًا ما يلجأ الباحثون إلى إعداد بطاقات الملاحظة لتيسير عملية تسجيل البيانات وتنظيمها، وتقوم هذه البطاقات على مجموعة من البنود التى تغطى جوانب المشكلة أو الظاهرة موضوع الدراسة وتُجْمَعْ فى فئات معينة. ويترك بعد كل بند مسافة للملاحظ يكتب فيها كلمات وصفية قليلة أو يبين وجود أو غياب أو تكرار حدوث الظاهرة. وتساعد هذه الموجهات الباحثين فى تسجيل ملاحظات مختلفة كثيرة بصورة أسرع، وتضمن عدم إغفالهم أية معلومات مهمة وضرورية. كما أن هذه الوسائل تميل لأن تجعل الملاحظات موضوعية وتمكن من تصنيف البيانات تصنيفًا موحدًا، وتصمم بعض بطاقات الملاحظة بحيث يستطيع الباحث أن يصل إلى درجة تمكنه من إجراء مقارنات مع بيانات أخرى.

وجمع المعلومات أو البيانات اللازمة فى البحث السيكولوجي خلال الملاحظة العلمية التي تنظمها بطاقات الملاحظة ـ يستلزم توفر مجموعة من المتطلبات لتحسين الملاحظة كطريقة من طرق البحث. ومن بين هذه المتطلبات ما يلى:

أ ـ أن الملاحظة عملية موجهة وذات هدف: فقبل الاضطلاع بنشاط الملاحظة ينبغي أن يحدد بدقة الهدف منها، أي تحديد ما هى جوانب النشاط أو السلوك التي يجب ملاحظتها فى التلاميذ مثلاً. وإذا كانت الملاحظة فى مثل هذه الحالات عملية مركبة صعبة، فإنه بدون توفر هدف محدد واضح للملاحظة يصير البحث عرضيا عفويًا، غير موجه، وبالتالي يفقد الباحث مقومًا أساسيًا من مقومات إدارته وتنظيم مادته. فلا يمكن للباحث أن يلاحظ بطريقة عرضية أو ارتجالية، وإنما لابد أن يعرف بالتحديد ما الذي يركز انتباهه عليه، وكيف يسجل ما يراه وما يسمعه وما يحسه بدقة تامة.

ب ـ أن الملاحظة عملية موضوعية: حيث تخضع الملاحظات لعديد من التحريفات والتأويلات الشخصية، فقد ترجع الملاحظات الخاطئة إلى خداع الحواس حين تزود الذهن بمعلومات خاطئة أو قد يكون الذهن بنفسه هو مصدر هذه الأخطاء ويمكن إرجاع كثير من هذه الأخطاء إلى حيلة يلجأ إليها الذهن، هى أن يملأ الثغرات دون وعي وفقًا للخبرة السابقة، والمعرفة، والنتائج التي يتوقعها عن وعى. وهذا يتفق مع ما يقرره " جوته " بأننا " لا نرى إلا ما نعرفه " فعلى أساس الخبرة السابقة والاهتمامات الشخصية تتكون ملاحظاتنا، فلو أن طبيبًا ومهندسًا وموجهًا وناظرًا تفقدوا إحدى المدارس. يلاحظ الطبيب الشروط الصحية للمبني والحالة الصحية للتلاميذ، والمهندس يلاحظ مدى سلامة مبنى المدرسة، والموجه يلاحظ مدى سير البرامج الدراسية وفقا للخطة ومستوى التلاميذ الدراسى، والناظر يلاحظ مدى سير النظام المدرسى وإدارة النشاط التربوي بصفة عامة.

جـ ـ أن الملاحظة عملية منظمة: تجرى الملاحظة بطريقة منظمة متتابعة بدون وجود فترات طويلة من الانقطاع ويتم تسجيل البيانات أولًا بأول بمجرد أن يلاحظها الباحث بقدر الإمكان، وفقًا لنظام دقيق، فالانتظار لفترة يجمع فيها مدركاته قد يؤدى به إلى أن ينسى بعض البيانات المتعلقة بالظاهرة التي لاحظها أو تتجمع لديه انطباعات مشوهة أو محرفة أو غير صحيحة عما يحدث. وحينما يقوم الباحث بتسجيل البيانات، فإنه يضمنها كل التفصيلات المهمة عن الظاهرة، والأجهزة التي استعان بها، والإجراءات التي اتبعها والصعوبات التي واجهته وتُعَلَّمْ الخبرة الباحث المدرَّب كيف يسجل ملاحظات شاملة كاملة. وكيف يرسم بالتفصيل كل الأحداث والوقائع الدقيقة التي تحدث فى أثناء إجراء البحث فهى كلها إنجازات ذات قيمة كبيرة جدًا فى يد الباحث تتضح وتثبت جدواها حينما يحين الوقت الذي يقوم فيه بتحليل البيانات وتفسيرها أو شرح النتائج التي توصل إليها، والدفاع عنها.

ويستخدم الباحث فى تسجيل البيانات المتجمعة من الملاحظات عبارات محددة دقيقة. فالباحث يستخدم كلمات ورموزًا تعني لديه الشئ الذي تعنيه لدي غيره من الباحثين وبدلًا من أن يسجل انطباعات عامة فإنه يكتب وصفًا دقيقًا عن كل ما خبرته حواسه. وبدلًا من أن يقرر علي سبيل المثال، أن هناك مجموعة من الأطفال فى فصل دراسي يتسمون بعدم الطاعة، فإنه يقوم بتسجيل الوقائع المحددة التي تصدر عن هؤلاء الأطفال والدالة على عدم طاعتهم، وعدد الأطفال الذين يسهمون فيها، وتكرار هذه الوقائع أو المدة التي تستغرقها.... وما إلى ذلك.

د ـ أن الملاحظة عملية غير مباشرة: قد يؤدي الوجود المباشر للباحث أو المجرب فى المجال الذي ينشط فيه المفحوصون إلى جعل استجاباتهم تصدر بطريقة غير تلقائية(كما سبقت الإشارة) لذا قد تجري الملاحظة بطريقة غير مباشرة، لا يدرك معها التلميذ فى المدرسة أنه موضوع ملاحظة أو مراقبة لأن معرفته بمثل هذه المواقف لا تجعله يسلك بطريقة تلقائية.

هـ ـ أن الملاحظة عملية وسيلية: تسمح الملاحظة بجمع مادة ذات قيمة حينما تستند إلى وسائل تضمن الإجراءات اللازمة لمزيد من الموضوعية والدقة مثل استخدام اختبارات للذكاء، أو مقاييس أو اختبارات للشخصية واستخبارات للاتجاهات أو الميول، أو استخدام بعض الأجهزة والآلات، وهذه الوسائل تزود الباحث بالأدلة الأصلية التي يمكن أن يدرسها مباشرة هو وغيره من الباحثين، كما يستطيع مراجعتها فى المستقبل كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

و ـ أن الملاحظة عملية فنية: تتضح قيمة المادة المتجمعة من الملاحظة وفقا لما يتمتع به الباحث من كفاية فى فن تمحيص الظاهرات بعقلية يقظة متفتحة. وبرغم أن أي فرد يستطيع أن يلاحظ الظاهرات، إلا أن تحقيق الدقة فى الملاحظة يعد فنًا من الفنون. ومن خلال التدريب أو الممارسة التي تتسم بالإصرار أو المثابرة يستطيع الباحث أن يتعلم كيف يقوم بملاحظات يمكن أن يشتق منها المعرفة الدقيقة والتي يُوثَقْ بها ويُعْتَمْد عليها.(طلعت منصور وآخرون، ١٩٨٤: ٦٥ ـ ٧٢).

حدود الملاحظة:

(أ) مع ما لطرق الملاحظة من أهمية. إلا أنها لا تزال بعيدة فى بعض نواحيها عن الطرق التجريبية. فهى تحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى المعلومات التي نريد الوصول إليها من خلال رصد سلوكيات معينة. وقد لا تظهر هذه السلوكيات خلال فترات الملاحظة التي نقوم بها. وإنما تظهر فى أوقات أخري لا يكون فيها الفرد تحت الملاحظة، أي أن فيها ضياع للوقت أحيانًا.

(ب) كما أنها تحتاج إلى أشخاص مدربين تدريبًا جيدًا على القيام بالملاحظة. ثم أن المعلومات التي نحصل عليها عن السمات التي نريد دراستها قد لا تتناسب والجهد الذي يبذله الملاحظ. ولا الوقت الذي يصرفه فى الملاحظة. ولذلك يجب ـ كلما أمكن ـ أن يحل محلها الطرق التجريبية أو اختبارات السلوك.

(ج) كما أن تعدد الملاحظين قد لا يحل مشكلة الملاحظة. فالملاحظون- حتي بالنسبة للموقف الواحد- قد يعطون تقاريرًا مختلفة اختلافًا كبيرًا، وذلك على أساس أن كل ملاحظ يكون أكثر حساسية لأنماط معينة فى السلوك من الملاحظ الآخر. فقد يوجه أحدهم انتباهه إلى أعراض معينة كقضم الأظافر، بينما يعطي غيره اهتمامًا أكبر لغيرها من الأعراض، ومن ثم يركز عليها ملاحظته.

(د) ورغم أن الملاحظة هى وسيلة مهمة فى طرق البحث إلا أنها تعرفنا فقط بظاهر السلوك الخارجي ولا تتطرق إلى تفسير دوافع السلوك الملاحظ. لذا فإن عملية التفسير تتوقف على حالة الملاحظ النفسية خصوصًا أن الملاحظة تتأثر كثيرًا بحالة الملاحظ وإدراكاته كما أنه يصعب تكرار نفس ظروف الملاحظة المكانية والزمانية وحالة الملاحظ النفسية. كذلك يصعب تفسير المعلومات التي يحصل عليها الباحث عن طريق الملاحظة بسبب التغيير السريع الذي يطرأ على الظواهر النفسية(نايفة قطامى ومحمد برهوم، ١٩٨٩: ٢٨ ـ ٣٣).

والشكل التالى يشير إلى تصنيف الملاحظة العلمية:

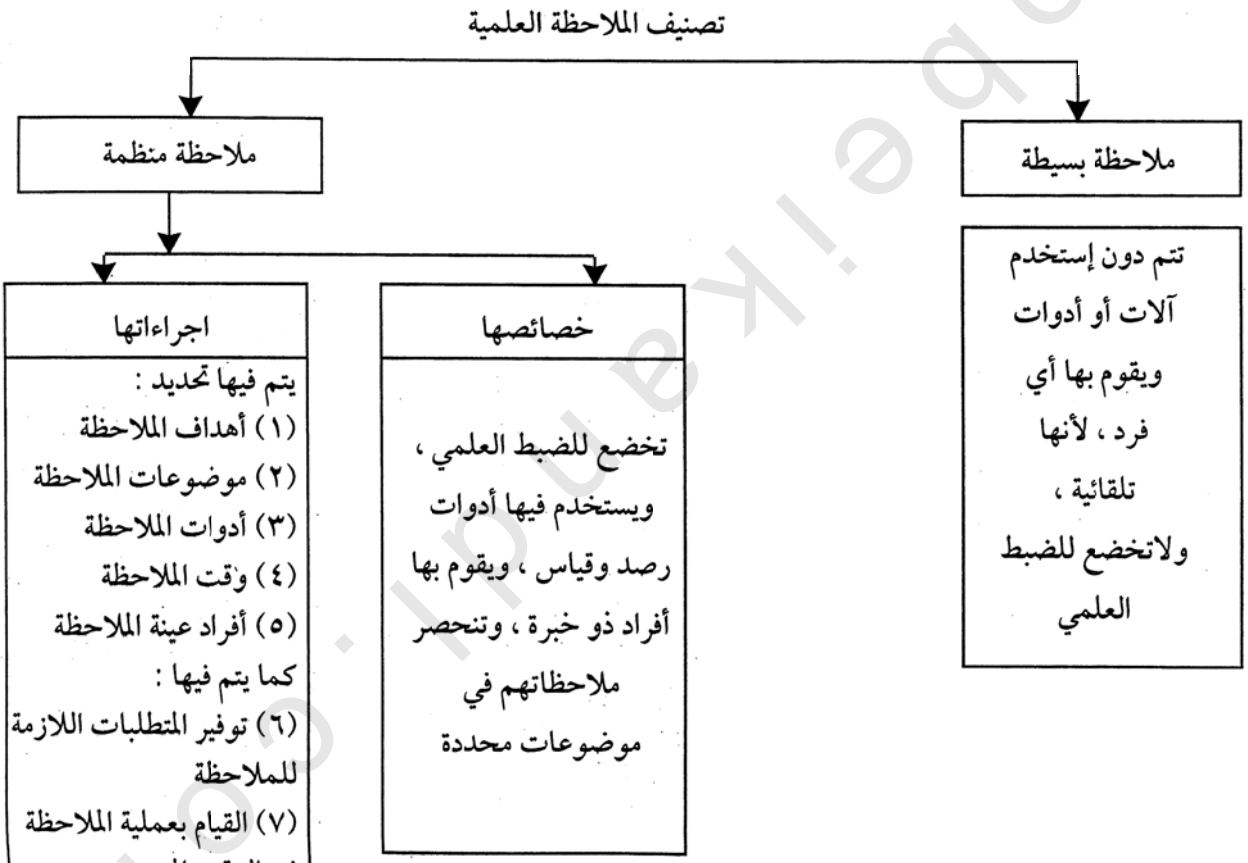

شكل (٦) تصنيف الملاحظة العلمية

Biographical Method (٢) طريقة تسجيل الحياة اليومية (الطريقة السيرية):

وهى طريقة تهدف إلى تسجيل السلوك اليومي للفرد ومتابعة ما يحدث له من تغيرات وهى طريقة تعتمد على مجرد الملاحظة غالبًا، وعلى التجريب أحيانًا، إلا أنها تمتاز بتسجيل تطور السلوك الإنساني فى مجال الحياة الطبيعية دون اصطناع مواقف خاصة، وهنا يجب أن يكون الدارس الملاحظ لتطور السلوك محايدًا ليحقق موضوعية النتائج.

وتتمتع طريقة تسجيل الحياة اليومية ـ كأداة من أدوات جمع المعلومات ـ بميزة مؤداها أنها يمكن أن تكفل وتوفر ملاحظات تتسم بالتكامل والاستمرار عن سلوك الطفل. ولكن فى مقابل هذه الميزة ـ هناك عدة قيود تقلل من فوائدها وجدواها كأداة علمية. ولعل أهم هذه القيود تتمثل فيما تتطلبه هذه الطريقة من وقت طويل ينبغي أن يخصصه الباحث للملاحظة والتسجيل. فإذا عرفنا أن القائم بالملاحظة يكون فى أغلب الأحيان الأم أو الأب لكان من حق الباحثين الشك فى أن يتمكن كثير من الآباء من القيام بتسجيل سلوك أطفالهم من وجهة نظر موضوعية هادئة متعلقة، إذ يتبين لنا من ملاحظاتنا اليومية للآباء أنهم أكثر ميلًا إلى استباق الكلمة وتوقعها، وكذلك الجملة أو الابتسامة الاجتماعية لدي أطفالهم الرضع، وذلك بالمقارنة مع شخص آخر خارجى مجردًا من المشاعر الشخصية.

أضف إلى ذلك، أن الآباء الذين يقومون بكتابة سير وتراجم عن سلوك أطفالهم النامي يكونون متأثرين إلى حد كبير بمستواهم الاقتصادي الاجتماعي، وخلفيتهم الاجتماعية، وغير ذلك من عوامل ترتبط على نحو موجب بسرعة النمو النفسي للأطفال أو التبكير فيه، وهذا يجعل من معايير السلوك والنمو المستمدة من طريقة تسجيل الحياة اليومية أداة غير ملائمة من حيث إمكانية استخدامها مع قطاعات أخري من الأطفال.

ويعتبر الاهتمام المتحيز لدى الملاحظ قيدًا آخر على هذه الطريقة السيرية، فطالما يتعذر على الملاحظ تسجيل كل جوانب سلوك الطفل، فإنه يعمد فقط إلى تسجيل

تلك الجوانب التي تحظى باهتمامه من هذا السلوك، وكثيرًا ما تتغير اهتمامات الملاحظ من وقت لآخر حتي قبل أن تكتمل بنود ما يقوم بتسجيله.

فى ضوء ما سبق تنبغى ملاحظة أنه عندما تستخدم هذه الطريقة السيرية مقترنة بالاختبارات والتجريب البسيط،فإنه يمكن أن توفر بيانات مهمة ومفيدة عن الأطفال، وتتضمن الأوصاف التي يعرضها كل من " فالنتين" 1942)Valentine) ومورفى 1956)Murphy) بيانات حصلا عليها عن طريق استخدام هذه الأدوات مجتمعة ومع ذلك فإن هذه الأدوات مجتمعة لا تخلو من بعض القيود التى سبقت الإشارة إليها. وإذا كان هناك ما يدعو إلى قبول البيانات التي نحصل عليها من الطريقة السيرية فى مجال علم النفس النمو، فإنه من الضروري أن تكون هذه البيانات قد تم جمعها بواسطة ملاحظين غير متحيزين بقدر الإمكان، وأن تكون الاستنتاجات المستمدة من هذه البيانات قد تم تحقيقها واختبارها بأساليب أكثر موضوعية.

وقد أفاد نفر من علماء النفس من تطبيق هذه الطريقة فى بحوثهم على الأطفال مع تجنب ما تنطوى عليه من عيوب. فقد أراد " دينيس " 1936)Dennids. W) مثلًا أن يفيد منها فى الوصول إلى نتائج عامة. فجَمَعَ مادة من أربع وستين سجلًا لتاريخ حياة أطفال دون الثالثة من العمر. ثم اطَّلع على أربعين سجلًا من أكمل السجلات التي كتبت عن حياة أطفال فى السنة الأولى من العمر واستخرج من جميع هذه السجلات معلومات غزيرة عن خمسين عنصرًا من عناصر السلوك وتعاونت " هيرلوك " مع " ماك هى" 1936).Hurlock & McHgh) فى مقارنة بعض ظواهر السلوك الواردة فى بعض تواريخ الحياة، بنفس الظواهر كما وصفتها "مارجريت ميد" فى دراسة قامت بها على مجموعة من الأطفال المعوقين عقليًا، ثم كما وصفها " تيرمان" فى دراسته لمجموعة من الأطفال الموهوبين.

(٣) تسجيل تاريخ الحياة الخاصة(أو الذكريات والسير الذاتية).

يرى " حلمى المليجي" و" عبد المنعم المليجى"(١٩٨٢: ٥٢) أننا نستطيع أن نفيد مما يكتبه الناس عن طفولتهم فى فهمنا لسلوك الأطفال. وتسمي هذه الطريقة

بطريقة " السيرة الخاصة " Autobiographical Method وكثيرًا ما يطلق عليها اسم آخر، هو " طريقة التأمل الاسترجاعي" Retrospective Method، وذلك لأن الشخص الذي يستخدمها يرجع بذاكرته إلى هذه الفترة أو تلك من فترات حياته الماضية، ويحاول تجميع خبراته ليكوَّن منها تاريخًا كاملًا عن حياته. وتختلف هذه الطريقة عن طريقة تسجيل الحياة اليومية فى كونها تجمع مادة خاصة بالمؤرخ نفسه فى حين أننا فى طريقة تسجيل الحياة اليومية نكون بصدد شخص يؤرخ لحياة شخص آخر هو طفله فى أغلب الحالات. ومع ذلك فبين الطريقتين شبه أكيد يكمن فى كونهما يتتبعان نمو الطفل فى مختلف مراحل حياته مع الإلحاح على مميزات أو سمات معينة.

وعلى هذا من خلال ما يكتبه الفرد من تاريخ حياته وما يؤرخه عن نفسه يمكن أن يُستَدل على طبيعة اتجاه النمو عنده، وبمقارنة ما يمكن جمعه بهذا الأسلوب أو تلك الوسيلة من حقائق عن طريق أفراد عديدين يمكن عمل دراسة مقارنة ودراسة الفروق الفردية والتوصل إلى التعميمات التي تحدد طبيعية ونمو السلوك الإنساني.

إذن فى السيرة الخاصة يكتب الفرد عن ذاته خلال مرحلة طفولته أو مراهقته أو رشده، أو فى أى فترة أخرى من حياته، مستخدمًا ذاكرته، مسجَّلًا الأحداث التي مر بها والظروف التي أثرت فيه، محاولًا تسجيل معلوماته وتاريخ حياته خلال فترة من الزمن، ففى هذه الطريقة يكتب الفرد عن نفسه ولا يكتب عن شخص آخر كما هو الحال فى تسجيل الحياة اليومية (خليل معوض، ١٩٨٣: ٤٣ ـ ٤٤).

والسيرة الخاصة مصدر غني من الوثائق السيكولوجية والمعلومات القيمة التي قد تزخر بحياة انفعالية وخبرات غنية يكتبها غالبًا كثير من الأدباء والفنانين والقادة ورجال السياسة عن أنفسهم مما تعجز عنه البحوث والاختبارات السيكولوجية. ومن ثم فعن طريق هذه الوسيلة يمكن دراسة نمو السلوك بمتابعة العظماء والقادة والمفكرين والأدباء الذين يكتبون سيرهم الذاتية، سواء بشكل مباشر أو من خلال أعمالهم الأدبية. كما حدث فى كتاب " الأيام " لعميد الأدب العربى " طه حسين"

و" زهرة العمر" و" سجن العمر" لـ" توفيق الحكيم " وفيما كتبه "جان جاك روسُّو" عن " إميل" وما كتبه " آرنست رينان" عما عاناه من تطوره الفكرى وصراعاته الدينية فى الطفولة والشباب وما كتبه " فرويد " عن التحليل الذاتى لحياته الخاصة، وأمثال هؤلاء كثير، ففى هذه المتابعة ما يكشف النقاب عن الكثير من العوامل الدقيقة التى تؤثر فى نمو السلوك عند الأفراد من نواح عدة والتى قد يكون فى إمكان هؤلاء أكثر من غيرهم أن يكشفوا عنها(عماد الدين إسماعيل، ١٩٨٩: ٤٥).

ولا يعيب هذه الطريقة سوى أنها تعتمد فى جزء كبير من الحقائق على التأمل الاسترجاعى، وهى طريقة من طرق دراسة السلوك محفوفة بأخطار النسيان كما أن ما يذكره الفرد عن نفسه قد يتعرض عن قصد من الدارس أو بسبب دوافع لاشعورية إلى تشويه أو خلط الكثير من الحقائق، ومع ذلك فهى طريقة استعملت كثيرا فى دراسة نمو وتطور السلوك الإنسانى وعوامل البيئة ودروها فى تطور السلوك ولكن يتعين إخضاع المادة التى تستمد من خلالها إلى الفحص للظروف التى اكتشفت هذا النوع من الذكريات حتى نقلل بقدر الإمكان من العنصر الذاتى فى هذه السير.

(٤) وصف وتحليل إنتاج الأطفال والمراهقين(أو منهج تحليل الوثائق الشخصية):

كثيرًا ما يصدر عن الفرد من الإنتاج ما يعتبر وثيقة يمكن الرجوع إليها لدراسة نموه واتجاهات النمو والعوامل المختلفة المؤثرة فى سلوكه. من أمثلة ذلك رسوم الأطفال والكبار، وما يكتبه المراهقون من شعر فى مرحلة تأجج العواطف وثورة الانفعالات وكذلك ما يكتبه الأفراد عن غيرهم وعن أنفسهم وما يدونونه من وثائق. ويمكن لدارس هذه الوثائق أن يكشف اتجاهات وميول ودوافع وخيال الطفل، وكذلك النمو الاجتماعى وأساليب التوافق الناجمة عن الصراعات، واتجاهات الأفراد نحو مشكلات النمو الجنسى وغير ذلك. وتمتاز الوثائق عن الكتابة الاسترجاعية بمميزات لا يمكن أن تُنكر، فهى تعبير تلقائى عن اتجاه النمو وديناميات، ولذلك يكون الفرد فيها بعيدًا عن التحيز أو التمويه كذلك يمكن

استعمالها وتحليلها بطريقة دقيقة لدراسة المحتوى أو المضمون عند أكثر من فرد وبذلك يمكن أن نخرج منها بحقائق كمية إحصائية قد تقودنا إلى نظرية عامة.

ومن الوثائق الشخصية يستطيع الدارس لنمو السلوك أن يتابع إنتاج الفرد فى وثائقه المتتابعة ليتوصل إلى الإطار العام لنمو السلوك لديه. فمنها مثلا يمكن دراسة مدى تطور الفرد فى اتجاه الثبات الانفعالى عن طريق تناقص درجة المبالغة الانفعالية فى وثائقه المتتابعة. كما يمكن أن تدرس الفروق بين مستويات النمو المختلفة من هذه الناحية عن طريق تحليل عينة ممثلة من الأفراد، وهكذا.

ولقد استُعملت هذه الطريقة فى دراسات عديدة على عينات مصرية. كما استعملها " دولارد وميلر" بكثير من الاهتمام عندما درسا العلاقة بين توتر الفرد الانفعالى وبين طريقة الكتابة ونوع الخط.

إذن يمكن القول أن كل ما يخلفه الأطفال وما يعبرون به من رسوم وعمل فنى وكتابة، يمكن اعتباره وثائق سيكولوجية مهمة تفيدنا فى معرفة اهتمامات الأطفال وميولهم وقدراتهم، بل وتطلعنا على الجوانب الانفعالية والصراعات النفسية والاستجابات العديدة والاتجاهات الاجتماعية التى تزخر بها حياة الطفل والتى تعكس حياته خلال مرحلة من مراحل عمره.

وفى مرحلة المراهقة قد تعبَّر لنا أشعار المراهقين ورسومهم وقصصهم وتأملاتهم الفلسفية والاجتماعية وطموحاتهم عن حياتهم النفسية؛ ففى مرحلة المراهقة نجد أن كتابة المذكرات الخاصة مفيدة لنا فى دراسة مرحلة المراهقة – ففى المذكرات الخاصة يتعرض المراهق لما يلى:

١ـ يصب المراهق ثورته وتمرده ونقده للمجتمع والتقاليد والأوضاع الاجتماعية القائمة.

٢ـ يفرغ المراهق انفعالاته هربًا من القلق والضيق.

٣ـ التعبير عن الذات وعن الخبرات الوجدانية من أحزان وعواطف وانفعالات.

٤ـ تحديد فلسفته العامة واتجاهاته الدينية.

كل هذه الأمور تجعل للمذكرات الخاصة فى حياة المراهق أهمية كبرى لا من حيث هى ظاهرة نفسية، بل من حيث هى منهج لدراسة فترة المراهقة.

وفى مرحلتى الرشد والشيخوخة، فإن ذكريات الراشدين والشيوخ عن أنفسهم فى مراحل طفولتهم ومراحل مراهقتهم، كذلك ذكريات المدرسين ومشرفو جماعات النشاط والأخصائيين الاجتماعيين عن تلاميذهم وأفراد جماعاتهم وعملائهم تعد مصدرًا مهمًا فى جمع المعلومات عن هؤلاء فى مراحل النمو المختلفة(خليل معوض، ١٩٨٣: ٤٥).

ويجدر تناول هذه المعلومات فى حيطة وحذر شديدين بسبب الميل إلى المغالاة وعدم الموضوعية والنسيان، فعلى سبيل المثال عندما يبلغ الأبناء مركزًا اجتماعيًا مرموقًا او يشغلون وظائف عالية يبالغ الآباء فى وصف تفوق هؤلاء الأبناء فى الذكاء وتحمل المسؤولية. ومثلها فى ذلك مثل أية أداة من أدوات جمع البيانات، فإن تحليل الوثائق الشخصية طريقة تعترضها عدة صعوبات منها على سبيل المثال:

أ- سرية المذكرات فى نظر المراهقين فليس من السهولة أن تُعرض على الباحثين.

ب- المذكرات ليست سلسلة متصلة منتظمة، فالمراهق يكتب حينًا وينقطع عن الكتابة أحيانًا.

ج- تفسير المذكرات الخاصة من الباحثين تفسيرات غير موضوعية فقد تشتط هذه التفسيرات فتحمل ما كتب أكثر مما يحتمل.

ويرى البعض أنه من الممكن لو اتبعنا قواعد معينة فى تحليل الوثائق الشخصية أن نخرج منها بأحكام موضوعية، وتقديرات كمية لا كيفية فحسب لهذه السمة أو تلك من سمات شخصية صاحب الوثائق، أو لهذه النزعة أو تلك من نزعاته أو لهذه القدرة أو تلك من قدراته العقلية. لنفرض مثلا أن الوثيقة التى نحن بصددها عبارة عن مجموعات من التأملات الفلسفية والدينية سجلها أحد المراهقين، فإننا نستطيع تقدير مستواه الذهنى بالاستناد إلى الأمرين التاليين فى تأملاته:

الأول: مستواه اللغوى: فنحصر محصوله من المفردات ونقارن هذا المحصول بمحصول مجموع المراهقين فى سنة، ونقدر قدرته على شرح أفكاره والتعبير عن مشاعره، وسلامة عباراته،.....إلخ.

الثانى: سلامة تفكيره، فنحصر عدد مرات وقوعه فى التناقض، وقدراته على التعميم غير المخل، وقدرته على التفكير المجرد، وقدرته على نقد غيره ونقد تفكيره الشخصى، وعمق تحليلاته الذاتية.....إلخ(عبد المنعم المليجى، ١٩٨٧: ١٩ ـ ٢٠).

ونستطيع كذلك تقدير اتزانه الانفعالى بالاستناد إلى الشواهد الآتية:

الأول: مدى تحرره من المبالغة والانفعالية فى أحكامه على الأمور والأشخاص.

الثانى: مدى ثبوت حالته الانفعالية العامة.

الثالث: شدة استجابة الانفعالية للأحداث الخارجية، وإلى أى حد تتناسب هذه الاستجابات فى شدتها مع شدة المواقف التى سببتها.

الرابع: مدى اتزان علاقاته الاجتماعية سواء فى مجال الأسرة أو المدرسة، أو المجتمع الكبير، وسواءً مع المرأة أو الرجل؛ والكبار أو الصغار.

الخامس: إلى أى حد يتناسب مستوى طموحه مع إمكانياته.

ونستطيع أن نتأكد من صحة الأحكام التى نخرج بها من تحليلنا لتأملات المراهق بأن تقارنها بالأحكام التى نخرج بها من وثائق أخرى ـ إن وجدت ـ كرسومه أو مجموعة مختارة من قراءاته.

(٥) **تحليل المحتوى** Content Analysis

أسلوب فى البحث يستخدم فى وصف وتحليل محتوى القصص وافتتاحيات الصحف والأفلام والكتب والخطب العامة.... إلخ على نحو موضوعى ونسقى وكمى. والتصنيف المنظم لعناصر المادة أو مكوناتها التي أسفر عنها التحليل ومدى تكرارها يتيح للباحث أن يحدد التيمات(الموضوعات) العامة والخاصة التي لم يكن

من الممكن ظهورها من الفحص البسيط، وقد يمكن هذا من الحكم على ما للمادة من تأثير محتمل على الجمهور الذى سوف يتعرض لمضمونها(جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافى، ١٩٨٩: ٧٤٠).

ومما تجدر الإشارة إليه أن نشأة تحليل المحتوى ترجع إلى عام ١٩٢٠ حين أصدر " ميلز وليبمان " مؤلفهما حول هذا الموضوع.

وقد تكون قراءة الوثائق والسجلات عملية ثقيلة وشاقة على النفس بالنسبة لغير المتخصصين، إلا أن الباحثين غالبًا ما يكتشفون بيانات ممتعة لها دلالتها من هذه المصادر. ويرتبط تحليل المحتوى الذي قد يسميه البعض تحليل المضمون إرتباطًا وثيقا بالمنهج التاريخى، إلا أنه يُستخدم أيضًا فى المنهج الوصفى؛ فكل من هذين المنهجين من مناهج البحث يهتم بالوثائق والسجلات إلا أن المنهج التاريخي يهتم أساسًا بالماضي البعيد فى حين يهتم المنهج الوصفى بالوضع الراهن.

وهناك صور كثيرة وأنماط عديدة لتحليل المحتوى؛ فبعض الباحثين يركز على تحليل الأحكام والقواعد التي قد تضعها هيئة مدرسة ما، والبعض الثاني قد يركز على جمع بيانات بهدف تصنيف الممارسات والإجراءات والظروف المدرسية القائمة؛ والبعض الثالث قد يفحص النشرات من أجل الحصول على معلومات عن المناهج المقررة ومحتوى برامج معينة، والبعض الرابع قد يفحص المناهج أو المقررات الدراسية أو الكتب المقررة أو أعمال التلاميذ وذلك بهدف تحديد ما يدرس وما لا يدرس، وتوزيع مواد معينة على الصفوف الدراسية المختارة ومقدار الوقت الذي يخصص لها.... وما إلى ذلك. والبعض الخامس من الباحثين قد يحلل محتويات المراجع والصحف والدوريات، والرسوم المتحركة والصور والأفلام والصور الفوتوغرافية.

وعند تحليل محتوى الكتب المقررة ـ على سبيل المثال ـ قد يحصى الباحثون نوع المفاهيم وتكرارها، والأخطاء والتحريفات أو عدد الصور أو الجداول، وقد يقيسون طول الجُمل، أو المساحة المخصصة لموضوع معين، أو المستوى اللغوي.

وتمكنهم هذه المعلومات من تحديد متى؛ وأين؛ ومقدار ما يدرس حول موضوعات معينة، وتساعدهم على كشف تحيزات المؤلفين ومعتقداتهم.

وفى إحدى الدراسات التي كان الهدف منها تحديد المحتوى الذى ينبغي أن يتضمنه منهج ما، حلل الباحثون أنماط الأخطاء، التي وقع فيها التلاميذ فى التعبير الشفهى، والكتابى، والحساب والهجاء وغيرها من المكونات التي أعانتهم فى تحديد هدفهم.

ويمكن القول أنه عن طريق تحليل المحتوى يلقى مؤلفو الكتب المدرسية عونًا من الدراسات التي تعرفت على الحصيلة اللغوية الأساسية التي يمتلكها الأطفال فى مراحل عمريه مختلفة.... وكذلك قد يقوم العلماء الاجتماعيون بتبويب تكرار ذكر الحقائق والموضوعات والقضايا والتعميمات فى الصحف والدوريات والصور المتحركة، والرسوم الكاريكاتورية وغير ذلك من المصادر لتحديد أكثرها استخدامًا فى حياة الراشدين، وأدت مثل هذه الدراسات إلى إحداث تعديلات فى كثيرٍ من المناهج.

وإذا ألقينا نظرة على بدايات استخدام تحليل المحتوى كوسيلة من وسائل جمع البيانات والمعلومات فسوف نلاحظ أن بحوث تحليل المحتوي الباكرة كانت سطحية وآلية إلى حد ما؛ إذ اعتمدت أساسًا على قراءة المواد المكتوبة أو المطبوعة، وتبويب تكرار حدوث البنود فى فئات مناسبة، إلا أنها لم تصمم لتكشف عن معاني ذات أهمية خاصة.

ولقد كان لعمل " لازويل H.D Laeswell " فى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين أثره فى تقدم دراسة المحتوى حيث استطاع هو وزملائه أن يضيفوا إلى التبصر أو(الاستبصار) عنصر الدقة، وكان تحليلهم يتم تحت ضوابط معينة تجعله منظمًا وموضوعيًا إذا قورن بالطريقة التقليدية فى وصف المحتوى ونقده. ومن أمثلة هذه الضوابط ما يأتى:

١- أن تكون الفئات المستخدمة لتصنيف المحتوى مُعرفَّة تعريفًا واضحًا

ومحددًا؛ بحيث يستطيع الأفراد الآخرون تطبيقها على نفس المحتوي لتحقيق نفس النتائج.

٢- ألا يترك المحلل حرًا فى اختيار وكتابة ما يدهشه وما يعتبره مثيرًا بل ينبغي أن يصنف بطريقة منهجية كل المواد المتصلة بالموضوع فى عينته.

٣- استخدام أساليب كمية لكى تزودنا بمقاييس لما تعطيه المادة من أهمية وتأكيد للأفكار المختلفة التي تحتوى عليها، وتسمح بمقارنتها بعينات أخرى من المادة (جابر عبد الحميد وخيرى كاظم، ١٩٧٨: ١٦٣ ـ ١٦٩).

وفى منتصف القرن العشرين المنصرم تقريبًا، بدأت دراسات تحليل المحتوى تقدم طرقًا أكثر دقة ومرونة لتبويب البنود، بغية كشف العوامل المهمة وإبرازها. وكانت هذه الدراسات الكيفية تتعلق بموضوعات أكثر تعقيدًا من الدراسات الكمية؛ فأثارت أسئلة مثل: كيف تعالج موضوعات جماعات الأقليات العنصرية فى كتب المواد الاجتماعية بالمرحلة الابتدائية؟ وحينما يقوم الباحث بهذا النمط الكيفى من الدراسة، يكون اهتمامه بالمحتوى ذاته أقل نسبيًا من اهتمامه بالمحتوى كانعكاس لظاهرات أعمق. وقد يكون عمله شبه كيفي فى طبيعته ولكنه يكون " فى الغالب قائمًا على أساس وجود أو غياب محتوى معين، بدلًا من التكرارات النسبية "(فان دالين، ١٩٨٥: ٣٢٥).

وحدات تحليل المحتوى:

فى ضوء الكتابات التى أشارت إلى عدد هذه الوحدات يمكن حصرها فى الأنماط التالية:

(انظر: غريب سيد أحمد، ١٩٨٠، عبد الظاهر الطيب وآخرون، ٢٠٠٠؛ كمال زيتون، ٢٠٠٤).

(١) الكلمة أو الرمز:

حيث يقوم الباحث بتحليل الشعارات مثل كلمة " الحرية " أو " الديموقراطية

"؛ والتحليل الأدبى لتحليل الألفاظ والكلمات هى الأكثر شيوعًا بين الأدباء. والكلمة هى أصغر وحدة فى تحليل المحتوى، وقد تشير الكلمة إلى معنى أو رمز معين؛ كما قد تتحدد عن طريق بعض المصطلحات أو المفهومات التى تعطيها معنى خاص، وعندما تستخدم الكلمة كوحدة فى تحليل المحتوى؛ فإن الباحث يضع قوائم تُسجل فيها تكرارات ورود الكلمات، أو فئات مختارة من المادة موضوع التحليل، وتستخدم هذه الوحدات فى التحليل السياسى، وتحليل الأسلوب الأدبى، ودراسة مواد الاتصال التعليمى.

(٢) الموضوع:

أى الفكرة التى تدور حول مشكلة معينة. ويُقصد بوحدة الموضوع الوقوف على العبارات، أو الأفكار الخاصة بمسألة معينة. ويعتبر الموضوع أهم وحدات تحليل المحتوى عند دراسة الآثار الناجمة عن الاتصال وتكوين الاتجاهات.

(٣) الشخصية:

وقد تكون خيالية أو تاريخية وتُستخدم فى تحليل القصص والدراما والسير والتراجم. ويقصد بها تحديد نوعية وسمات الشخصية الرئيسية التى ترد فى العمل الأدبى مثلًا بصفة خاصة، وقد تكون الشخصية خيالية، كما قد تكون حقيقية، وهذا يحتم قراءة العمل الأدبى بأكمله؛ حتى يمكن تصنيف الشخصيات التى وردت به.

(٤) المفردة:

أى الوحدات الطبيعية التى يستخدمها منتج المادة، وقد تكون كتابًا أو مقالًا، أو قصة، أو حديثًا إذاعيًا، أو برنامجًا أو خطابًا. وتستخدم المفردة كوحدة للتحليل إذا كانت هناك عدة مفردات. وكذلك يمكن تصنيف العمل الأدبى حسب نوعية موضوعاته السياسية والاجتماعية والدعائية.

(٥) مقاييس الزمن والمساحة:

وهى عبارة عن تقسيمات مادية مثل عدد الأعمدة، أو عدد السطور، أو الصفحات، أو الفترات الزمنية فى البرامج الإذاعية، أو وحدات الطول فى الأفلام.

إجراءات تحليل المحتوى:

تتم إجراءات تحليل المحتوى على مرحلتين أساسيتين هما:

المرحلة الأولى: الخطوات التى تتصل بالمشكلة المراد بحثها.

المرحلة الثانية: الخطوات التى تتصل بتحليل المحتوى.

وتكتمل هذه الإجراءات باكتمال الخطوات الست الرئيسية التالية:

(١) الإحساس بالمشكلة المراد بحثها وتحديدها:

ذلك إن السمة الأساسية التى تميز البحوث والدراسات العلمية هى أن تكون ذات مشكلة محددة فى حاجةٍ إلى من يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة. ومن هنا فإن نقطة البدء فى أى بحث علمى هى الإحساس ـ من جانب الباحث ـ بوجود مشكلة بحثية معينة؛ ينتقيها من بين عدة مشكلات باستخدام الأساليب العلمية فى جمع البيانات؛ كالملاحظة العلمية، والتجارب، والاستبيانات والمقابلات؛ حيث يبدأ البحث عادة بموقف غامض يواجه الباحث، أو موقف مشكل أى غير محدد، أو غير محقق مع غموض المتغيرات المرتبطة به والمؤثرة فيه. وتتجسد مشكلة البحث، عندما يدرك الباحث ـ من خلال ملاحظاته أو تجاربه، أو إطلاعاته ـ أن شيئًا معينًا ليس صحيحًا، أو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح، والتفسير، والتجارب.

(٢) تحليل المشكلة وصياغتها:

بعد إحساس الباحث بالمشكلة، تبدأ خطوة تحليل المشكلة وتحديدها حيث يسعى الباحث إلى تحديد العوامل التى تسبب غموض المشكلة أو صعوبتها عن طريق تحليل الموقف العام لها؛ من حيث عناصره وظروفه، وخصائصه بهدف إبراز العناصر والمتغيرات المكونة للمشكلة وتوضيحها.

ويذكر " عبد الظاهر الطيب وآخرون"(٢٠٠٠: ١٣٨) أن خطوة تحليل المشكلة تشتمل على مجموعة من الخطوات الفرعية المتتالية، والتى تترتب على بعضها البعض على النحو التالى:

(أ) تجميع البيانات والمعلومات والوقائع التى يُحتمل أن تكون ذات صلة بالمشكلة، ووضع التفسيرات التى يمكن للباحث أن يستمد منها، أو يبنى عليها مزيدًا من الحقائق والمعلومات والتفسيرات الجديدة.

(ب) استخلاص المعانى واكتشاف العلاقات بين المكونات المختلفة للمشكلة.

(جـ) البحث عن مزيد من الحقائق لتوضيح المشكلة البحثية، وتحديد أى العناصر والمتغيرات يرتبط بها. وما إذا كانت هناك حقائق أو تفسيرات، أو علاقات أخرى متضمنة فيها، أو تلعب دورًا محددًا فى أحداثها، واكتشاف ما إذا كانت هناك عيوب فى الاستنتاجات الخاصة بطبيعتها.

بعد ذلك يبدأ الباحث فى خطوة صياغة المشكلة، أى يقوم بعرض المشكلة فى صياغة تعطى صورة كاملة عن المشكلة البحثية بكافة أبعادها. ويمكن القول أن تحليل المشكلة، وصياغتها يفيد بشكل جوهرى فى تحديد جميع الخطوات البحثية، والمنهجية، ومن بين هذه الخطوات تحديد نوعية الدراسة التى يمكن للباحث أن يقوم بها، ونوع المناهج التى سوف يتبعها، والبيانات التى يتعين عليه أن يسعى إلى الحصول عليها، وأنسب الوسائل والأساليب والأدوات التى سيستخدمها، وهو ما يوضح درجة الارتباط الوثيق بين تحديد وتحليل المشكلة، واختيار أسلوب تحليل المحتوى كأداةٍ لجمع البيانات وتحليلها، واستخلاص نتائج بحثية منها.

(٣) وضع الفروض الخاصة بالدراسة. أو وضع مجموعة من التساؤلات التى يسعى الباحث إلى الإجابة عنها:

فى أعقاب قيام الباحث بتحديد المشكلة بدقة، يبدأ فى صياغة مجموعة من الآراء التى يرى أنها يمكن أن تمثل مجموعة المتغيرات المؤثرة فى المشكلة المراد دراستها، وهذه الآراء هى ما نطلق عليه الفروض.

ويرى بعض الباحثين أن البحث العلمى لابد أن يبدأ بفروض أساسية تؤدى إلى تحديد نوع المعلومات والحقائق التى ينبغى أن يجمعها دون سواها؛ وهذه الحقائق تؤدى فى النهاية إلى التثبت من مدى صحة هذه الفروض، ويذهب هؤلاء الباحثون

إلى أن الفروض هى التى تساعد على تنظيم هذه الحقائق فى إطار معين باعتبار أن الفروض هى نقطة البدء فى كل استدلال تجريبى، ولولاها لما أمكن القيام بأى بحث، أو تحصيل أى معرفة، ولما استطاع الباحث إلا أن يكرس الملاحظات غير المنتجة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض البحوث والدراسات التى قد لا يتاح فيها للباحث أن يفرض فروضًا مثل البحوث والدراسات الاستكشافية أو الاستطلاعية مثلًا. ومن ثم فإنه يمكن استبدال خطوة فرض الفروض فى بعض البحوث والدراسات بخطوة بديلة هى طرح مجموعة من التساؤلات التى يسعى الباحث إلى الإجابة عنها؛ باعتبار أن البحث فى هذه الحالة لا توجد له فروض محددة، ولا يستهدف أصلًا اختبار فرض؛ نظرًا إلى أن مشكلاته لم تتناولها البحوث والدراسات من قبل، ولم تحدد معالمها بعد تحديدًا دقيقًا.

(٤) اختيار المجتمع والعينات التى ستجرى عليها تحليل المحتوى:

إن الباحث الذى يستخدم أسلوب تحليل المحتوى لابد أن يكون قادرًا على الإجابة عن عدة تساؤلات تتعلق بمجتمع البحث[(١)]؛ وإمكانية اختيار عينة ممثلة له[(٢)]؛ شأنه فى ذلك شأن بقية الباحثين فى البحوث والدراسات الأخرى الذين يسعون إلى التوصل إلى نتائج دقيقة، ومعبرة عن طبيعة المشكلات المراد دراستها، وتتمثل أهم هذه التساؤلات فى:

(أ) ما هو حجم المجتمع المطلوب تحليله؟

---

(١) مجتمع البحث هو جميع الوحدات التى يرغب الباحث فى دراستها. وفى مجال تحليل المحتوى يكون المجتمع هو جميع الأعداد التى صدرت من الصحيفة أو مجموعة الصحف التى تم اختيارها خلال الفترة المحددة للدراسة، أو جميع الكتب أو الوثائق، أو المطبوعات المطلوب تحليلها، أو جميع البرامج الإذاعية أو التليفزيونية، أو جميع الأفلام، أو المسرحيات، أو المسلسلات؛ المراد تحليل محتوياتها، والتى أذيعت أو عرضت خلال الفترة المحددة للدراسة.

(٢) العينة الممثلة هنا هى مجموعة من وحدات المعاينة تخضع للدراسة التحليلية، أو الميدانية. ووحدات المعاينة هى جميع الوحدات التى يتكون منها مجتمع البحث؛ فكل عدد من كل صحيفة يتم اختيارها، وكل كتاب، وكل وثيقة، أو مطبوعة، أو برنامج أو فيلم، أو مسرحية، أو مسلسل خاضع للتحليل هو وحدة معاينة.

(ب) ما هو الحجم الأمثل للعينة التى يمكن سحبها من هذا المجتمع؟

(جـ) هل يؤدى تكرار استخدام نفس المقاييس على نفس وحدات التحليل إلى نفس النتائج، وما مدى إمكانية إعادة البحث؟

(د) هل تؤدى الفئات والوحدات[1] التى يتم تحديدها إلى تعيين وحصر المتغيرات المستهدفة عن العينة؟

(هـ) ما هو حجم العينة الذى يتيح إمكانية تعميم النتائج بحدود ثقة معينة؟

وما دمنا بصدد الحديث عن اختيار المجتمع والعينات فى أسلوب تحليل المحتوى فإنه يمكن القول أن العينات فى هذا الأسلوب تقوم على مبدأ العشوائية Randomization؛ أى المبدأ الذى يتيح لجميع مفردات المجتمع فرصة احتمالية متكافئة للاختيار فى العينة نظرًا إلى أن اختيار كل مفردة يتم بطريقة مستقلة عن باقى المفردات، وتستمد النوعيات المختلفة من العينات أساس تكوينها من قاعدة العشوائية والاحتمال المتكافئ.

وتتواتر فى الكتابات ذات الصلة بأسلوب تحليل المحتوى الإشارة إلى خمس أنواع من العينات هى:

(أ) **العينة العشوائية**: Random sample

وهى أبسط أنواع العينات، تجعل احتمال ظهور أى وحدة معاينة مساويًا لاحتمال ظهور أية وحدة أخرى؛ مما يساعد الباحث فى تقدير أخطاء المعاينة تقديرًا دقيقًا، ومحسوبًا.

ويتم اختيار العينات العشوائية عن طريق حصر جميع مفردات مجتمع البحث، وتحديد حجم العينة المطلوبة، ثم سحب وحدات المعاينة بطريقة عشوائية، ويتم

---

(١) الفئات أو الوحدات هى الوحدات المتاحة التى يمكن حصرها وتطبيق الدراسة عليها نظراً لصعوبة وجود جميع وحدات المجتمع فى بعض الحالات فى ضوء احتمال فقدان بعض أعداد الصحف؛ أو لعدم وجود تسجيلات متاحة من بعض البرامج، أو الأحاديث، أو المسلسلات الإذاعية أو التليفزيونية مما يؤدى إلى اختلاف الوحدات المتاحة (التى تسمى حينئذٍ الإطار) عن جميع الوحدات (التى سبق أن أسميناها المجتمع).

مقدار السحب ـ عادةً ـ باستخدام جداول الأرقام العشوائية، وتتميز هذه الطريقة بخلوها من التحيُّز، كما تستخدم ـ بصفة أساسية ـ فى إتمام عملية المجانسة داخل مجتمع البحث.

(ب) العينة المنتظمة: Systematic sample

وهى التى تُستخدم فى اختيار وحدات معاينة خلال فترات زمنية معينة وهى أشبه بالعينة العشوائية؛ حيث يقوم الباحث عن طريق استخدام جداول الأرقام العشوائية باختيار مجموعة من الأعداد تمثل النسبة المئوية لوحدات المعاينة إلى إجمالى المجتمع الأصلى، ثم تستخدم هذه الأعداد كنقطة بداية فى اختيار باقى الوحدات بشكل منتظم.

وتستخدم طريقة العينة المنتظمة فى تحليل المحتوى عند اختيار الأيام، أو التواريخ، أو الأعداد التى يفصل بينها فترات زمنية متساوية Systematic interval، ويتم ذلك عن طريق تحديد حجم العينة المطلوبة، ثم استخراج ناتج قسمة جمع مفردات مجتمع البحث خلال الفترة الزمنية للبحث على حجم العينة المطلوبة، ثم استخدام هذا الناتج كفترة زمنية بينية متساوية بين وحدات المعاينة المختارة.

(لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الظاهر الطيب وآخرون، ٢٠٠٠: ١٤٤ ـ ١٤٥).

(جـ) العينة العمديّة: Arbitrary sample

وهى التى تتكون عن طريق الاختيار العمدى أو التحكمى، أى عن طريق الاختيار المقصود من جانب الباحث لعدد من وحدات المعاينة؛ حيث يرى الباحث طبقًا لمعرفته التامة بمجتمع البحث أنها تمثل المجتمع الأصلى تمثيلًا صحيحًا؛ وذلك فى حال الاقتصار على العينة العمدية أو التحكمية.

ويلجأ الباحث إلى استخدام هذا النوع من أنواع العينات فى حالة ما إذا كان البحث يقتضى أن تتضمن العينة الإجمالية هذا النوع من وحدات المعاينة، وقد يلجأ الباحث إلى اختيار بعض وحدات المعاينة عن طريق العمد، والباقى بطريقة العينة العشوائية أو المنتظمة مثلًا.

ففى الدراسات التحليلية عن المعالجات الصحفية لبعض القضايا السياسية أو الاقتصادية، أو الاجتماعية خلال فترة زمنية معينة، قد يلجأ الباحث إلى اختيار صحف معينة تتميز بطابع خاص فى معالجتها الإعلامية بطريقة عمدية خشية ألا تمثل تمثيلًا صحيحًا فى العينة العشوائية. كما قد يختار أعدادًا معينة صدرت فى أيام معينة اختيارًا عمديًا لأن هذه الأعداد تناولت القضايا موضوع الدراسة التحليلية تناولًا متعمقًا مكثفًا بالمقارنة ببقية الفترة الزمنية. وينطبق ذلك أيضًا على اختيار نوعيات معينة من الأفلام أو الكتب، أو البرامج الإذاعية، أو التليفزيونية، أو الفترات أو الدورات الإذاعية ذات الطابع المميِّز المرتبط بموضوع البحث والمؤثر فى نتائجه(الطيب وآخرون، ٢٠٠٠: ١٤٦).

(د) العينة الطبقية: Stratified sample

وهى تلك العينة التى يتم فيها تقسيم المجتمع أو الإطار إلى أقسام أو طبقات متجانسة فى داخلها، ومختلفة فيما بينها، ويتم سحب وحدات المعاينة بالنسبة لكل طبقة على حدة، إما بطريقة عشوائية، أو منتظمة، ثم تُستخدم هذه التقديرات المتعددة فى حساب تقدير متوسط المجتمع بأكمله.

وتُستخدم العينة الطبقية بشكل أساسى فى حالة الاتجاه إلى تحليل مواد صحفية أو إذاعية أو تليفزيونية مثلًا؛ حيث يقوم الباحث بتقسيم المجتمع الأصلى فى هذه الحال إلى ثلاث طبقات(الصحف ـ الراديو ـ التليفزيون) ثم يختار عينة عشوائية أو منتظمة من كل طبقة منها وهكذا...

ويمكن تقسيم المجتمع تقسيمًا طبقيًا على أساس أرقام التوزيع، والتغطية الجغرافية، وعدد القراء، ونوع الطباعة، وطبيعة المادة الإعلامية، وغيرها من التقسيمات. واستخدام العينة الطبقية يتيح للباحث الحصول على نتائج أكثر دقة فى حال مقارنتها باستخدام الباحث للعينة العشوائية؛ خاصة إذا ما اتسم المجتمع بتشتت بين وحداته أو أقسامه أو طبقاته.

(هـ) العينة العنقودية: Cluster sample

ويرى العديد من الباحثين أن العينة العنقودية من أنسب طرق اختيار العينات فى مجال تحليل المحتوى؛ نظرًا إلى أن مجتمع البحث يتكون من أكثر من مستوى

واحـد، وهـى مـستويات المـصادر؛ ثـم التـواريخ، ثـم الأعـداد، أو الطبقـات ثـم المحتوى(المضمون) مع وجود مستويات فرعية جزئية داخل كل مستوى رئيسى من هذه المستويات.

وباستخدام العينة العنقودية يمكن للباحث أن يطمـئن لأنـه وضـع فى اعتبـاره جميع المستويات، والتقسيمات المختلفـة للمجتمـع الأصـلى للبحـث؛ ممـا يـؤدى إلى تقليل الأخطاء العشوائية التى يمكن أن تنتج عن تشتت وحـدات المعاينـة، وعـدم تجانسها.

والشكل التالى يلخِّص أنواع العينات عند استخدام تحليل المحتوى:

شكل يلخِّص أنواع العينات عند استخدام تحليل المحتوى

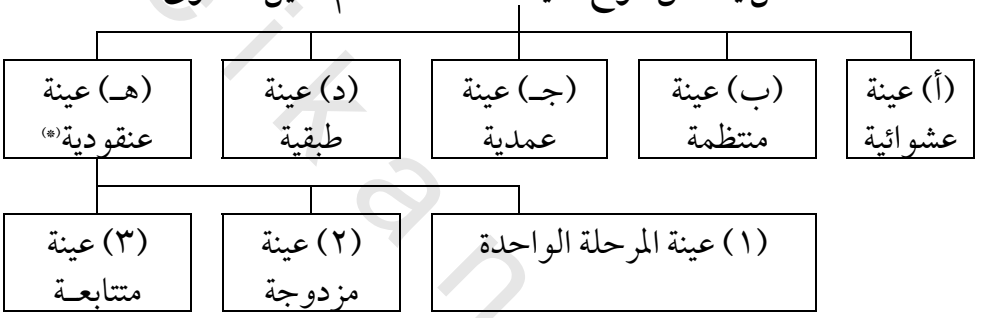

(٥) ثبات عملية تحليل المحتوى:

تتضمن إجراءات عملية تحليل المحتوى عنصرين أساسيين هما:

الأول: الموضوعية Objectivity

حيث يجب أن تكون الموضوعية هى الـسمة الأساسـية لعمليـة التحليـل شـأنها

(*) يمكن للباحث فى مجال تطبيق أسلوب تحليل المحتوى إذا استخدم العينة العنقودية أن يكتفى بسحب عينة واحدة أو عدة عينات وذلك على النحو التالى:

(١) عينة على مرحلة واحدة: وفيها يكتفى الباحث بسحب عينة واحدة فقط من المجتمع، والاعتماد عـلى النتائج الخاصة.

(٢) عينة مزدوجة: وفيها يلجأ الباحث إلى سحب عينتين للتأكد من صحة النتائج التى توصل إليها.

(٣) عينة متتابعة: وفيها يلجأ الباحث إلى سحب عـدد كبـير مـن العينـات، بحيـث يـرتبط عـدد مـرات السحب بدرجة الدقة المطلوبة للبحث من جهة، وبدرجة التشتت أو التجانس بين وحدات المجتمـع الأصلى من جهة ثانية؛ حيث يؤدى إلى التشتت إلى اختيار عينات أكثر، أو يؤدى إلى اكتفـاء الباحـث واقتناعه بصحة ما وصل إليه من نتائج من جهة ثالثة.

شأن الإجراءات والخطوات البحثية الأخرى، وأنه من الضرورى التحكم فى الجوانب الذاتية للقائم بعملية التحليل لتحقيق الموضوعية.

الثانى: الثبات Reliability

والثبات بالمفهوم الإحصائى يعنى قياس مدى استقلالية المعلومات عن أدوات القياس ذاتها بمعنى أنه مع توفر نفس الظروف والفئات والوحدات التحليلية، والعينة الزمنية، فمن الضرورى الحصول على نفس المعلومات فى حالة إعادة البحث مهما اختلف القائمون بالتحليل، أو مهما تغير التوقيت الذى تتم فيه عملية إعادة البحث. وعلى هذا الأساس تسعى عمليات الثبات إلى التأكد من وجود درجة مرتفعة من الاتساق بالنسبة للبعدين الآتيين:

- بُعد الاتساق بين الباحثين القائمين بتحليل المحتوى، بمعنى ضرورة أن يتوصل كل منهم إلى نفس النتائج بتطبيق نفس فئات التحليل ووحداته على نفس المحتوى.
- بُعد الاتساق الزمنى: بمعنى ضرورة أن يتوصل الباحثون إلى نفس النتائج بتطبيق نفس فئات التحليل ووحداته على نفس المحتوى إذا تم إجراء التحليل فى أوقات مختلفة.

وكلما حقق تحليل المحتوى درجة عالية من الاتساق على هذين البعدين؛ ازدادت درجة اعتمادنا عليه كأداة علمية.

(٦) صدق التحليل: Validity of content analysis.

(٧) التحليل الإحصائى والتفسير والاستدلال:

بمعنى التحليل الإحصائى للنتائج واستخراج المؤشرات الخاصة بالتحليل؛ والقيام بعمليات الاستنتاج والاستدلال، وربط نتائج تحليل المحتوى كنتائج جزئية ببقية النتائج الأخرى التى تم التوصل إليها؛ باستخدام أساليب وأدوات أخرى لاستكمال الجوانب المعرفية الخاصة بالبحث، ولوضع نتائج البحث فى شكل إجابة عن تساؤلات البحث، أو توضيح مدى صحة الفروض المطروحة أو عدم صحتها.

والشكل التالى يوضح خطوات تحليل المحتوى:

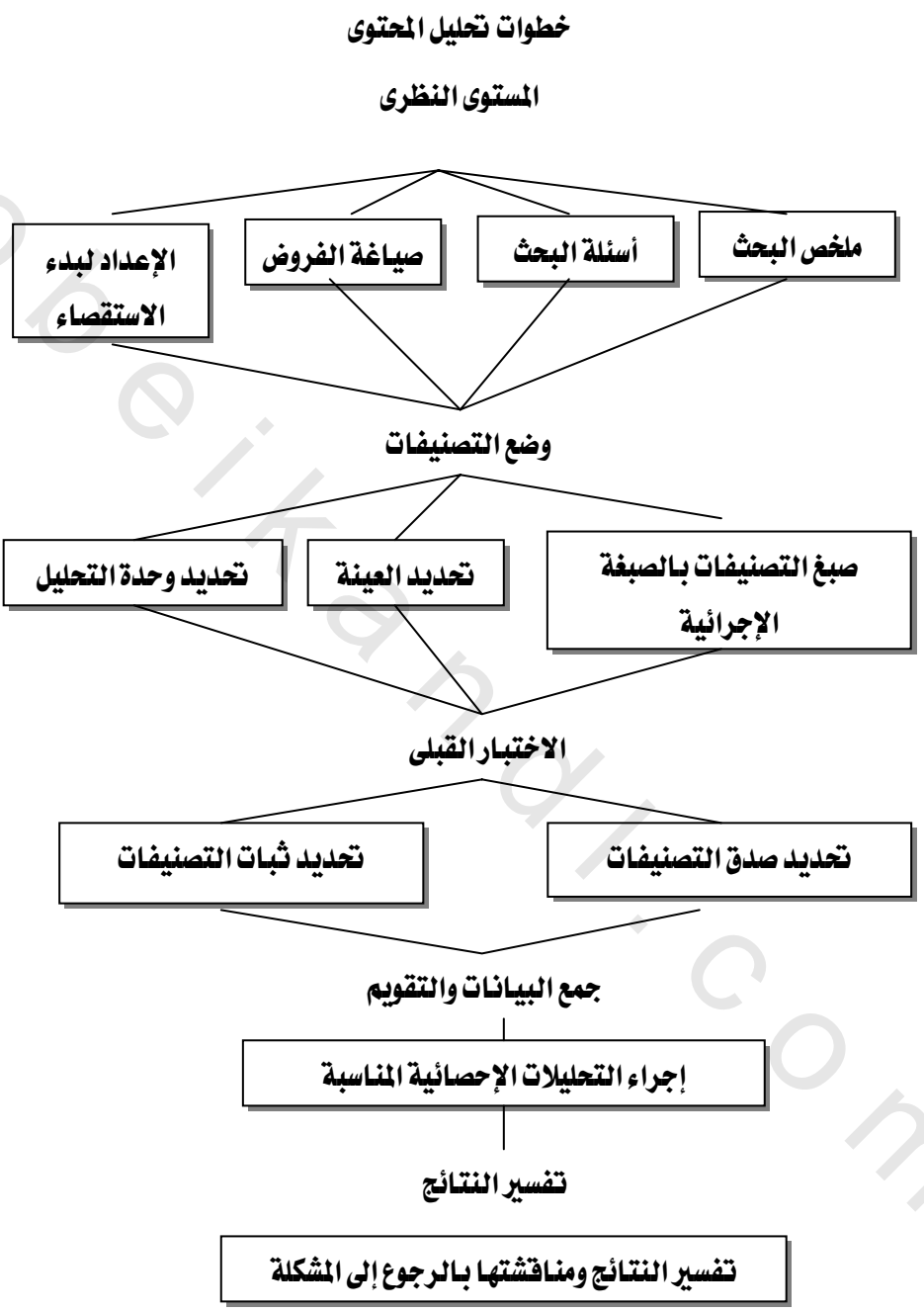

Obeikandl.com

ويستخدم أسلوب تحليل المحتوى فى الوقت الراهن فى مجال سيكولوجية النمو فى تحليل بيانات تم جمعها عن نمو الفرد، ولتكن مثلاً سجلات الحياة، السير الذاتية، والتراجم وإنتاج الأطفال والمراهقين، بغية تحديد الاتجاهات العامة السائدة فى محتوياتها، وبقصد الكشف عن القوانين التي خضع لها نمو الشخصيات التي تناولتها.

ولكى نقوم بعمليات تحليل محتوى لأى من سجلات الحياة اليومية، السيرة الذاتية، والتراجم أو إنتاج الأطفال والمراهقين يتعين القيام بعدة خطوات تتمثل فى:

أ ـ تحديد المفاهيم المطلوب حصرها.

ب ـ تحديد وحدات التحليل وفئاته.

جـ ـ اختيار عينة ممثلة للوحدات والفئات.

د ـ معرفة تكرار الوحدات وترددها.

هـ ـ قياس ثبات التحليل عن طريق إسناده لأكثر من باحث ومعرفة مدى الاتفاق بين نتائج دراساتهم.

و ـ التحليل الإحصائي للنتائج وتفسيرها.

وتشمل وحدات تحليل المحتوى: الكلمات/ الموضوعات/ الشخصية/ السلوك(عبد الفتاح صابر، ١٩٨٨: ٥١ ـ ٥٢).

مزايا تحليل المحتوى وحدوده:

يمكن أن يفيد تحليل المحتوى فى عدد من الأغراض فهو يستطيع:(١) أن يصف ظروفًا وممارسات معينة توجد فى المدرسة والمجتمع،(٢) وأن يبرز الاتجاهات،(٣) وأن يكشف عن نواحي الضعف،(٤) وأن يتتبع تطور رجل أعمال أو طالب أو كاتب.(٥) وأن يظهر الفروق فى ممارسات مناطق أو محافظات أو بلدان مختلفة،(٦) وأن يقوِّم العلاقات بين الأهداف المرسومة وما يتم تعليمه،(٧) وأن يميط اللثام عن التحيزات والتعصبات،(٨) وأن يكشف عن اتجاهات الناس، وميولهم وقيمهم وأحوالهم النفسية.

وهكذا يمكن القول أن بحوث تحليل المحتوى تنتج كثيرًا من المعلومات القيمة، إلا أن لهذه الوسيلة من وسائل جمع البيانات والمعلومات حدودًا معينة، إذ تُواجَه ببعض الانتقادات التي تحد من فعاليتها ومن بين هذه الانتقادات ما يلى:

(١) يمكن أن يشتق الباحثون بسهولة استنتاجات خاطئة من البيانات. فمثلًا قد يكشف تحليل الأخطاء، الواردة فى أوراق إجابة امتحان ما عن طبيعة الصعوبات التي يواجهها التلاميذ، ولكن هذه المعلومات تكون ذات فائدة محدودة؛ لأنها لا تكشف عن الأسباب التي أدت بهم إلى الوقوع فى هذه الأخطاء.

(٢) قد تصور دراسات تحليل المحتوى تكرار الحدوث للوضع القائم لبعض الاهتمامات والأنشطة، ولكن ما تكشف عنه قد يكون سريع التغير أو وقتيًا فى طبيعته، بحيث لا يصلح لأن يستخدم كأساس لتخطيط السياسات التربوية طويلة الأمد. وقد لا يكشف حساب تكرار حدوث محتوى معين أو أنشطة معينة وقياس مقدار الوقت أو الحيز المخصص لها، عن خطورة أو أهمية العنصر الذي يجرى تحليله. كما أو وضع المحتوى لسجل أو وثيقة والصيغة الانفعالية التي يوصف بها، عوامل أخرى يتعين وضعها فى الاعتبار.

(٣) تعتبر نتائج بعض بحوث تحليل المحتوى ذات قيمة ضئيلة لأن الباحثين يفشلون فى تحليل عينة ممثلة للمواد المصدرية(موضع التحليل)؛ فكثير من الدراسات لا تزودنا بمعلومات تتعلق بكفاية حجم العينة أو اتساق العينة مع المجتمع.

(٤) تخفق بعض دراسات تحليل المحتوى فى أن تحلل مدى الثقة بالمواد المصدرية(موضع التحليل) فليست المواد المطبوعة والمكتوبة دقيقة بالضرورة. إذ يخطئ الكتبة أحيانًا فى تسجيل المعلومات، أو يخفى أعضاء اللجان اعتقاداتهم الحقيقة حينما يكتبون التقارير، أو تُغير السجلات الرسمية أو تُحرق لكى تعطى صورة أفضل مما هو قائم بالفعل، أو تصنف أنماط مختلفة من البيانات تحت نفس العنوان بواسطة المؤسسات المتعددة؛ أو تكون الوثائق الشخصية، مثل المذكرات اليومية أو السير الذاتية أو الخطابات، مختلقة أو منسوبة إلى غير مؤلفها الحقيقي.

ولذا فإن الباحث ينبغي أن يُخضع مواده المصدرية لنفس النقد الدقيق الذي يقوم به المؤرخ؛ لكى يقوَّم صحة الوثائق وصدق محتوياتها(فان دالين، ١٩٨٥: ٣٢٧ ـ ٣٢٩).

(٦) طريقة تاريخ الحالة Case History Method وطريقة دراسة الحالة Case Study Method:

تعتبر هذه الطريقة من أشمل طرق البحث الخاصة التي تستعمل مع الأطفال الذين يعاونون من مشكلات تكيف. أو مع أولئك الذين يظهرون سلوكيات غير عادية(بالمعنى السلبي لكلمة غير عادى).ويقوم بإجراء الدراسة فى العادة شخص متخصص وإن كان المدرسون قد بدأوا يشعرون بحاجة إلى استخدام هذه الطريقة أثناء ممارساتهم. وهذه الطريقة من طرق جمع البيانات والمعلومات هى محاولة لتركيب المادة التي جمعت بكل الأساليب الأخرى وتفسيرها. وذلك من أجل تكوين صورة شاملة عن الفرد والعوامل الأساسية التي تؤثر فى حياته.

ويعود الفضل فى إظهار أهمية هذه الطريقة إلى ميدان الخدمة الاجتماعية؛ إذ ينصب إهتمام العاملين فى ميدان الخدمة الاجتماعية على خدمة الحالات الفردية ومعرفة أفراد الأسرة، وعلاقات بعضهم ببعض. وكذلك المستوى الاجتماعي والاقتصادي لها ومعرفة ظروف الطفل فى سنوات حياته الأولى، وحالته الصحية، والأمراض التي تعرض لها طوال حياته. والظروف المحيطة به حاليًا والتي كانت سببًا رئيسيًا فى حدوث مشكلاته وما إلى ذلك من بيانات ومعلومات.

وتعتبر هذه الطريقة المستخدمة فى جمع المعلومات والبيانات وتنظيمها من أكثر الطرق شمولًا وقربًا من التفكير العلمي السليم كما تمد الإخصائي، سواء كان مشرفًا تربويًا؛ أو معالجًا نفسيًا. بصورة واضحة تتضمن جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالفرد أيًا كان مصدرها أو الوسائل التي استخدمت فى الحصول عليها كذلك تتيح هذه الطريقة الفرصة للشخصية فى أن تكون متميزة عن غيرها وأن تبدو فى أدق صورة لها.

وبالرغم من أن طريقة تاريخ الحالة تُستخدم بصفة أساسية وأصيلة فى مجال علم النفس الكلينيكي حيث يلجأ الأخصائي النفسي الكلينيكي إليها كوسيلة تساعده فى فهم الأسباب المؤدية إلى إصابة الفرد بمرض نفسي أو عقلي؛ إلا أن هذا لا يمنع من استخدامها كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات فى المنهج الوصفى، ويمكن أيضًا استخدامها فى دراسة اختبار فرض ما شريطة أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد تعميم الحكم عليه. وبحيث تُستخدم أدوات قياس موضوعية لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها حتى يمكن تجنب الوقوع فى الأحكام الذاتية. أما فى حالة استخدامه كأداة كلينيكية فقد نستعين بالمقابلة والملاحظة والقياس إذا لزم الأمر. وتُستخدم هذه الطريقة فى مجال علم نفس النمو لدراسة تاريخ حياة الطفل أو المراهق فى مراحل نموه فى صورة حالة فردية. وتركز فى الغالب على تناول مشكلات النمو والتوافق أو على علاج تلك المشكلات.

ولم تنشأ طريقة دراسة الحالة أصلًا فى مجال علم نفس النمو كأداة علمية، إذ سبق أن أشرنا أن الفضل فى أهميتها يعود إلى ميدان الخدمة الاجتماعية أولًا، ولكنها وُجِدَت فى مجال علم نفس النمو حتى يمكن تطبيق المبادئ، والأسس العلمية على نحو أكثر ملاءمة بالنسبة لرعاية الطفل وتربيته، وتُجرى هذه الدراسة عادة للطفل الذي يعاني مشكلات فى التوافق مع ضغوط البيئة التي يعيش فيها. وهى تتضمن محاولة لدراسة وفحص كل الحقائق وثيقة الصلة بالطفل وبيئته، بهدف معاونته فى أن يحيا حياته بشكل أكثر يسرًا وإيجابية.

وقد لا يستخدم الباحث أدوات قياس فى هذه الطريقة من طرق جمع البيانات والمعلومات، وإنما يلجأ إلى دراسة حالة الطفل الاجتماعية وظروف الأسرة الاقتصادية وتطور نموه. ومدى توافق الطفل أو المراهق فى بيئته الأسرية وبيئته المدرسية، وقد يُجرى المقابلة الأخصائي الإجتماعى على أسس موضوعية فيجمع المعلومات والبيانات من الطفل أو المراهق نفسه أو من والديه أو من معلميه أو المشرفين على لعبه ونشاطه فى النادى. بمعنى آخر أن الحصول على البيانات الخاصة بطفل ما ـ عندما نكون بصدد دراسة تاريخ حياته وحالته ـ يتم من مصادر متعددة

بقدر الإمكان، فتُجَرى مقابلات مع الطفل، ووالديه وأقاربه، وجيرانه ومدرسيه، وأطبائه وأى شخص آخر يمكن أن يلقى بعض الضوء على ما يعانيه الطفل من مشكلات. بالإضافة إلى ضرورة الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن نموه السابق ـ أى تاريخ الطفل التطوري، وأنماط البيئة التي كان يعيش فيها ـ على أن تستخدم الاختبارات والمقاييس النفسية فى تحديد ما لديه من إمكانات عقلية وسمات شخصية. وتعتبر طريقة دراسة الحالة بهذه الصورة ذات قيمة كبيرة فى معاونة ومعالجة الأطفال ممن يعانون مصاعب فى التوافق النفسي كما سبق أن أشرنا فى بداية الحديث عن هذه الطريقة. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الباحثين يحدد تعريفات متنوعة لهذه الطريقة. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

يعرف " لوفيل ولوسون"(١٩٧٦) تاريخ الحالة بأنها كل المعلومات التي تجمع عن الحالة. والحالة قد تكون فردًا أو أسرة أو جماعة.... وهى تحليل دقيق للموقف العام للحالة ومنهج لتنسيق وتحليل المعلومات التي جمعت عنها.(رايتستون وآخرون، ١٩٧٦).

وهناك تعريفات أخرى متعددة لتاريخ الحالة، من أدقها ذلك التعريف الذي وضعه " شو" Kshow والذي أشار فيه إلى أن طريقة تاريخ الحالة تركز على الموقف الكلي أو على جميع العوامل وتتابع الأحداث، ودراسة السلوك الفردي داخل الموقف الذي يقع فيه وتحليل الحالات ومقارنتها مما يؤدي إلى تكوين الفروض.(جمال زكى والسيد يس، ١٩٦٢: ١٧٨).

ويعرِّف " عبد المنعم الحفنى"(١٩٧٨) تاريخ الحالة من زاوية علم النفس المرضى بأن المعالج يشجع مريضه على مناقشة كل فترات تاريخ حياته تلقائيًا، ولا يصر على أن كل شئ يجب أن يقال، وكلما تقدم العلاج ظهرت المواد المهملة والمنسية، ووضعت فى الإطار الكلى. وبهذه الطريقة تصبح أسباب السلوك المضطرب واضحة أمام المريض؛ بحيث يستطيع المعالج أن يحثه على أن يرى الحلول المناسبة لها.

ويعرِّف " عادل الأشول"(١٩٨٧) تاريخ الحالة بأنه تجميع بيانات ومعلومات خاصة بفرد معين، مثل الخلفية الاجتماعية، والثقافية للأسرة، والتاريخ الشخصى، والنمو الجسمى، والتاريخ الطبى، ونتائج تطبيق اختبارات نفسية أو عقلية، بالإضافة إلى تسجيلات أو إشارات لنماذج سلوكية نادرة، أو غير عادية. ويستخدم تاريخ الحالة كوسيلة مساعدة فى تخطيط البرامج والخدمات المقدمة للتلاميذ.

ويعرِّف " كمال دسوقى"(١٩٨٨) مصطلح تاريخ الحالة تعريفًا موسوعيًا بأنه يشتمل على المعانى التالية:

(١) سجل خبرة الفرد، وأمراضه، وتربيته، وبيئته، وعلاجه، وعمومًا كافة الحقائق التى لها أهميتها بالنسبة للمشكلات المعينة التى تنطوى عليها حالة طبية أو علاجية.

(٢) إعادة بناء الحياة الماضية للفرد(سليمًا أو مريضًا) لتحديد الأسباب الكامنة وراء سلوكه الراهن. ويسمى التاريخ السابق للمريض حتى دخول المستشفى أو مصحة Anamnesis، وتقدم المريض وهو تحت العلاج بمعنى تتبع رحلة العلاج Catamnesis.

(٣) تجميع معلومات يشمل كل البيانات المتوفرة أو المتاحة عن الخلفية، ونتائج الاختبارات، ومقابلات الاستبار، والتدريجات، والتشخيصات المتعلقة بفرد يخضع للدراسة.

ويضيف أن تاريخ الحالة طريقة تستخدم أكثر ما تستخدم فى علم النفس المرضى، وخدمة الفرد لأغراض التشخيص والتنبؤ بسير المرض. ومع هذا فبعد دراسة عدد من الحالات الفردية يستطيع المعالج أو رجل الاجتماع صياغة مبادئ نظرية أو تعميمات حول أحد جوانب السلوك. وأنه بهذه الطريقة يصبح تاريخ الحالة جزءًا من المنهج الكلينيكى بمعناه الواسع.

(٤) تجميع كل ما تيسر من أدلة: اجتماعية، ونفسية، وفيزيولوجية، تأريخية Biographical، وبيئية، ومهنية.. تبشر بمساعدة إيضاح شخصى مفرد، أو وحدة

اجتماعية مفردة كالأسرة. ولهذا تستخدم طريقة تاريخ الحالة بوجه خاص فى علم النفس المرضى، والإرشاد أو التوجيه، والخدمة الاجتماعية.

ونظرًا إلى أن تاريخ الحالة يؤكد على الحالة المفردة، أو الشاهد المفرد، فهو يختلف من حيث الهدف عن التجربة وعن الدراسات الإحصائية، لكن تاريخ الحالة كثيرًا ما يوفر بيانات عن طريق التجارب أو الخبرات أو الاختبارات، وقد تخضع سلسلة من تاريخ الحالات للدراسات الإحصائية والتعميم.

ويعرِّف " جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافى"(١٩٨٩) تاريخ الحالة بأنه سجل يحتوى على كل المعلومات المتاحة والمتعلقة بحال الشخص الطبية والنفسية. ويتألف من نتائج الاختبارات، والمقابلات، والتقييمات، والبيانات التربوية، والمهنية، والاجتماعية التى تتعلق بالشخص.

ويعرِّف " كمال سيسالم "(٢٠٠٢) مصطلح تاريخ الحالة تعريفًا موسوعيًا بأنه " العملية التى يتم فيها جمع معلومات عن تطور معين أو مشكلة معينة عند فردٍ ما بهدف المساعدة فى عملية التشخيص، والتقييم، والتخطيط للعلاج. ويتم جمع هذه المعلومات من السجلات الطبية، ومن أفراد الأسرة، ومن الأخصائى النفسى، والأخصائى الاجتماعى، والمدرسين، ومن كل من له علاقة بالفرد موضوع الدراسة.

ويعرِّف " عبد العزيز الشخص"(٢٠٠٦) تاريخ الحالة بأنه تلك البيانات والمعلومات التراكمية المتعلقة بفردٍ معين من الأفراد؛ كالخلفية الأسرية، والتاريخ الشخصى، والنمو الجسمى، والتاريخ الطبى، ونتائج الاختبارات، والسجلات القصصية للسلوك. وأن تاريخ الحالة يستخدم غالبًا فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالمهام والواجبات المحددة للطالب، وفى إعداد وتخطيط البرامج والخدمات اللازمة له.

ويعرِّف " باسكويل اكاردو وباربرا وتيمان "(٢٠٠٧) تاريخ الحالة بأنه سجل للفرد يحتوى على المعلومات المتراكمة لحالته الطبية، والنفسية والتربوية، والأسرية والاجتماعية.

دراسة الحالة وتاريخ الحالة:

إن دراسة الحالة Case study ترتبط بتاريخ الحالة Case historyوبتاريخ الحياة Life History أى تسجيل الحوادث التي وقعت فى حياة الأطفال بشكل متسلسل يومًا بعد يوم وعلى الرغم من أن البعض يستخدم المفاهيم الثلاثة السابقة بمعنى واحد، إلا أن بعض الباحثين يرى وجوب التفرقة والتمييز فيما بينها، فنجد " سترانج " Strange(1964) على سبيل المثال، يميز بين أسلوبى تاريخ الحالة Case History ودراسة الحالة Case Study، فيصف تاريخ الحالة بأنه عبارة عن معلومات تتجمع وتنظم فى فترات زمنية محدودة. وهو يشبه فى هذا البطاقات المجمعة التي تتضمن كل ما يحدث للفرد أو يتعلق به، وإن كان أكثر تفصيلًا. أما دراسة الحالة فهى تحليل عميق شامل للحالة التي يقوم الأخصائي بدراستها. وهى لذلك تتضمن تفسيرًا لشخصية الفرد وللمشكلة التي يعاني منها سواء كانت تربوية أو مهنية أم غير ذلك.

أما " موراى" Murry و" ثورن"Thorne فيستخدمان اصطلاح تاريخ الحالة بمعنى دراسة الحالة، أى بمعنى أن يشتمل على دراسة تحليلية وتشخيصية للحالة وجدير بالذكر أن التفسير يشكل جزءًا كبيرًا من دراسة الحالة، حيث يتركز الاهتمام على العوامل التي أدت إلى نشأة نموذج الشخصية والتي أدت بدورها إلى نشأة المشكلة التي يعاني منها الفرد(عطية هنا، ١٩٥٨: ٣٦).

أما " جون وارترز" و" شافر" Jone Warteros & Shaffer(1964) فإنهما يستخدمان تاريخ الحالة، ودراسة الحالة بمعنى واحد. ويتبعهما فى ذلك " يونج Jung الذى يضيف إلى هذين المصطلحين مصطلح تاريخ الحياة وهو يقصد به دراسة الفرد دراسة شاملة، تشمل نشأته الأسرية والبيئة التي عاش فيها، وعلاقات الفرد مع غيره، والعوامل الأخرى التي تؤثر فى نموه وتكيفه. وبإمكان المرشد النفسي عندما يقوم بجمع البيانات الخاصة بالفرد وبيئته التي عاش ويعيش فيها مهما كان نوع المصادر التي اعتمد عليها، أن يعطي صورة للفرد تفسر نموه وتطوره والعوامل التي أثرت فيه كما توضح مشكلته الحالية، والقوى المؤثرة فى تصوره لها، واتجاهاته نحوها.

ويمكن القول أن دراسة الحالة بهذه الصورة يمكن أن تدرس الفرد فى قطاعين: أحدهما طولي وثانيهما مستعرض، أيًا كان القطاع الذي يبدأ به الباحث؛ إذ قد يبدأ البعض بالقطاع المستعرض فيصف الفرد فى حاضره ثم يرجع إلى ماضيه. مستخلصًا العوامل التي أثرت فى الحاضر فيقدم بذلك صورة لتطوره ونموه، فى حين يبدأ آخرون بالقطاع الطولي الذي يعرض لنمو الطفل، وتطوره، والعوامل المؤثرة فى ذلك، وينتهى بحاضره والقوى المؤثرة فيه والمشكلة التى يعانى منها ومعناها بالنسبة له.

ويضيف " سعد جلال "(١٩٦٧، ١٩٧) لدراسة الحالة طريقتين أخريين هما:

الأولى: كتابة مذكرات يومية عن الفرد منذ الطفولة، وتسجيل كل ما يمكن تسجيله من ملاحظات عن مراحل نموه المختلفة. ويمكن أن تستمر مثل هذه الدراسات فترة طويلة وقد اتبعها كثير من العلماء فى حالات التتبع.

الثانية: جمع الملاحظات والمعلومات عن طريق العودة إلى الماضي بسؤال الفرد نفسه أو والديه، أو أى شخص آخر عاش معه فترة طويلة من حياته، وتسمى هذه الطريقة أحيانًا بالطريقة الكلينيكية.

والمثال التقليدي الذى يمكن أن نورده لدراسة الحالة هو التقرير الذي كتبه " فرويد " عن حالة " دورا " Dora Case وهى فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها، تعاني من مرض الهستيريا.

خطوات دراسة الحالة:

إن تحديد الحالة التي يراد دراستها يمثل الخطوة الأولى. ثم يليها خطوة جمع البيانات الضرورية لفهم المشكلة وتكوين وجهة نظر معينة نحوها. وهنا يحتاج الدارس إلى ثقافة ميدانية تمكنه من فهم الأسس العامة والأسباب التي تؤدى إلى مشكلات من النوع موضع الدراسة. وينبغي أن يلم الباحث بطبيعة مجتمع الحالة التي يدرسها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها. وأن يكون مُلمًا بسيكولوجية الفرد وله خبرة فى وزن الأسباب المؤثرة فى المشكلة، وإعطاء كل سبب

ما يستحق من اهتمام سواء كانت هذه الأسباب أسرية أو مدرسية. وإذا تعارضت بعض البيانات والحقائق مع البعض الآخر فلابد من تقصى سبب هذا التعارض ليتخلص الباحث أو الدارس منه أو أن يجد تفسيرًا سليمًا ومناسبًا له.

وأما الخطوة الثالثة فهى صياغة الفروض التي تفسر المشكلة ونشأتها وتطورها. ويفيد الباحث عند هذه الخطوة من خبرته بالموضوع وإلمامه بالعوامل التي تؤثر فيه. كما يفيد من خبرات الآخرين ووجهات نظرهم. ولكثرة ما تستخدم طريقة دراسة الحالة من بيانات وافية وحقائق شاملة ومقابلات واختبارات فإنها تساعد فى الغالب على بحث المشكلة بعمق وتخرج من ذلك بمعرفة الأسباب الأساسية لها.

جوانب مهمة فى دراسة الحالة بصفة عامة:

تتلخص أهم الجوانب التي ينبغي للباحث أن يجمع بيانات عنها فى حال استخدامه لطريقة دراسة الحالة فيما يأتى:

(أ) **النمو الجسمى**: ويتناول مختلف جوانب النمو الجسمي وصحة الفرد وما تعرض له من أمراض. كذلك العمر الذي استطاع فيه الفرد المشى أو الكلام لأول مرة. ومثل هذه البيانات قد تساعد على معرفة معدل نمو هذا الطفل فى الجانب العقلي والتعرف على نواحي التفوق البدني. وعلى الباحث أن يجمع أيضًا بيانات عن عادات الأكل والنوم والتدريب على الإخراج والصعوبات التي واجهها الفرد فى هذا التدريب. وكذلك معرفة ما إذا كان التدريب قد تم تدريجيًا أم مفاجئًا وهل كان يتسم بالتسامح والود أم بالصرامة والقسوة؟

(ب) **التوافق المدرسى**: ويتناول الأساليب التي يصطنعها التلميذ فى توافقه مع المواقف المدرسية المختلفة من حيث تقبله السلطة المدرسية أم التمرد عليها. ومسايرته النظام المدرسي أم الخروج عليه. وهل يجده أمرًا مقبولًا أم يثير مله؟ وهل يتسم أسلوب توافقه مع زملائه بالعدوان والسيطرة أم بالخضوع والانقياد؟ وهل يواجه المواقف التي تتحداه ويبذل جهدًا للتغلب عليها أم يحاول الهروب منها؟ وهل هو متأخر دراسيًا؟ وفى أى المواد الدراسية؟ وما أسباب تأخره؟

(جـ) **العلاقات الأسرية**: ويبحث دارسو الحالة عن طبيعة علاقات الفرد مع أعضاء أسرته بل وعن نوع ما يوجد بين هؤلاء الأعضاء من علاقات، وإلى من يلجأ ليجد الحب والحماية؟ وما هى الأنماط السلوكية التي يستخدمها للحصول على هذا الحب؟ وما مركز الطفل(ترتيبه) فى الأسرة؟ هل هو الابن الأكبر أو الأصغر أو الوحيد؟ وما طبيعة المعاملة التي يجدها؟ وهل يعامل بالقسوة والتشدد أم بالتدليل والتساهل أم معاملة معتدلة؟ وهذه العلاقات تؤثر على علاقات الفرد فى المدرسة وعلى علاقاته الاجتماعية العامة.

(د) القدرات العقلية الخاصة والميول النفسية: يسهل استخدام الاختبارات المقننة للتعرف على استعدادات الفرد العقلية ونواحي القصور والتفوق. ويسهل أن ينخدع الآباء فى أن لدى أولادهم استعدادًا للفن أو للموسيقى أو لمهنة من المهن العليا. بينما يكون الأمر على خلاف ذلك. ويمكن أيضًا من خلال التعرف على نشاطات الفرد استنتاج ميوله ومدى شمولها وتنوعها أو ضيقها وحدودها. وهل هى محصورة فى مجال ضيق متخصص؟ ويمكن التعرف على التغيرات التي طرأت على هذه الميول. كما يمكن التعرف على هذه الميول باختبارات موضوعية.

(هـ) التوافق النفسي والاتزان الانفعالى: من الواجب أن يجمع الباحث الذى يستخدم دراسة الحالة البيانات والمعلومات عن استجابات الفرد الانفعالية إزاء العوائق والصعاب التي تواجهه وصنوف الإحباط التي يلقاها. وذلك بإحصاء مرات الغضب والتأرجح فى الاستجابات الانفعالية شدة وضعفًا. ومن الضروري جمع معلومات وبيانات عن الآباء للتعرف على اتجاهاتهم نحو أبنائهم. وكثيرًا ما يتم التوُّصل إلى هذه الاتجاهات بإتاحة الفرصة للآباء ليتحدثوا عن طفولتهم وخبراتهم فى الأسرة والمدرسة وعن مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية.

ولابد من تتبع جذور المشكلة التي تُدرس الحالة من أجلها والتعرف على ملابسات حدوثها ومرات تكرارها، ووقت نشأتها. وهذا الإطار يصلح لدراسة الحالة إذا كان صاحبها سيئ التوافق فى الأسرة أو المدرسة أو العمل، أو إذا انجرف إلى ميدان الجريمة، ويمكن توسيعه لدراسة حالات لأغراض أخرى.

وهناك من يرى أنه يوجد تشابه كبير بين طريقة سيرة حياة الطفل(الطريقة السيرية السابقة الإشارة إليها) وطريقة دراسة الحالة. فعادة ما تبدأ الطريقة الأخيرة بتجميع البيانات عن طفل معين، بهدف مساعدة الأخصائى على فهم السلوك الصادر عن الطفل. وقد يلجأ الباحث فى دراسته للحالة إلى مصادر متعددة لجمع البيانات عن الحالة التي يقوم بدراستها. هذا ويمكن أن يكون أولياء الأمور أحد هذه المصادر حيث يقوم الباحث بمقابلتهم وأخذ رأيهم فى المجال المراد دراسته من السلوك. وقد يستخدم الباحث بعض الاختبارات النفسية والجسمية للتعرف على قدرات الطفل واستعداداته. كما يمكن أن يشكل الباحث انطباعًا تشخيصيًا عن الحالة وذلك من خلال عرض الطفل للسلوك ومظاهر هذا السلوك. ويمكن أن يشكل الباحث انطباعًا تشخيصيًا عن الحالة موضع الدراسة ويقوم بتفسير البيانات والنتائج التي توصل إليها.

ويهمنا فى الفقرات التالية ما دمنا بصدد توضيح هذه الطريقة من طرق جمع المعلومات أن نشير إلى الجوانب المختلفة التي تتناولها دراسة الحالة.

تتناول دراسة الحالة جوانب يمكن أن نذكر منها(انظر حامد زهران، ١٩٨٠: ١٧٨ ـ ١٨١):

(١) معلومات عامة عن أسرة الطفل مثل عدد أفراد الأسرة ومستوى تعليم والديه. ونوع عمل الوالدين.

(٢) معلومات عن شخصية الطفل: المظهر الخارجي، الحالة الانفعالية، وجود أية عاهات.

(٣) معلومات عن الحالة الجسمية: وتشمل معلومات عن الطول والوزن والحجم بشكل عام.

(٤) معلومات عن الحالة المعرفية: وتشمل القدرات العقلية من ذكاء واستعدادات. والذاكرة والاتجاهات والميول، وتحصيل الطالب فى المدرسة.

(٥) النواحي الاجتماعية: أى تنشئة الفرد الاجتماعية وأثر الأسرة فى ذلك،

والخلفية الاجتماعية التي قد تؤثر فى الطفل. ويكون التركيز هنا على المرحلة الحرجة من حياة الطفل والتي تنحصر فى السنوات الخمس الأولى، كما أشار إلى ذلك فرويد وغيره من العلماء.

(٦) ثقة الفرد بنفسه ومفهوم الذات الجسمي والتحصيلي لديه.

(٧) دوافع الطفل.

(٨) المشكلات التي يعاني منها الطفل موضع الدراسة.

(٩) أية ظروف بيئية أخرى لها تأثير على نمو الطفل.

(١٠) اهتمامات الطفل وميوله.

(١١) الحالة الاقتصادية لأسرة الطفل.

أى بمعنى آخر تمثل دراسة الحالة ـ من خلال استعراضنا للجوانب المختلفة السابقة التي تتناولها ـ نوعًا من البحث المتعمق فى العوامل المركبة التي تسهم فى تشكيل شخصية الطفل بقصد تشخيص حالة معينة وتقديم توصيات بالإجراءات العلاجية... ومن ناحية أخرى يضيف طلعت منصور(١٩٨٨: ٩٤) أنه طالما أن الكائنات الإنسانية(الأفراد) تعمل داخل نطاق اجتماعى دينامى؛ فإن دراسة الحالة ينبغي أن تتضمن معلومات مهمة عن الناس والجماعات والمواقف التي يتفاعل معها المفحوص وطبيعة علاقاتهم معه. فالكائنات الإنسانية تتفاعل باستمرار مع عوامل بيئية واسعة ومن ثم فإن سلوكها لا يمكن فهمه بدون فحص هذه العلاقات فحصًا عميقًا.

والشكل التالي يوضح تخطيط مقترح لاستمارة لدراسة تاريخ الحالة.

بحث حالة

معلومات عامة:

اسم الطفل(المراهق):	المدرسة:
الصف والشعبة:	تاريخ الميلاد:
عنوان الوالد:	عدد أفراد الأسرة:

ترتيب الطفل بين إخوته وأخواته: مع من يعيش الطفل:
تاريخ تسجيل الحالة: نوع الحالة:
مصدر الحالة:
التحصيل الأكاديمى:
الحالة الصحية:
الحالة الاجتماعية:
الحالة الاقتصادية:
القدرات العقلية:
التحصيل الدراسى:
الاستعدادات:
الميول:
الحالة الجسمية:
ملاحظات الباحث:
توصيات:

دراسة الحالة: المزايا والعيوب:

تمتاز دراسة الحالة كأداة من أدوات جمع المعلومات بالمميزات التالية:

(١) تعطى أوضح وأشمل صورة للشخصية، باعتبارها وسيلة من وسائل جمع البيانات.

(٢) تيسر فهم وتشخيص وعلاج الحالة على أساس دقيق غير متسرع، مبنى على دراسة وبحث.

(٣) تفيد فى التنبؤ وذلك عندما يتاح فهم الحاضر فى ضوء الماضي، ومن ثم يمكن إلقاء نظرة تنبؤية على المستقبل(حامد زهران، ١٩٨٠: ١٨٢).

(٤) تساعد الطفل موضع الدراسة على فهم نفسه وقدراته وإمكاناته.

(٥) تفيد التربويين فى تشكيل صورة واضحة عن الأطفال الذين يتعاملون معهم.

obeikandl.com

(٦) بصفة عامة توفر دراسة الحالة بيانات ومعلومات حية قيِّمة هائلة فى دراسة نمو الظاهرات النفسية.

ويؤخذ على دراسة الحالة بعض المآخذ لعل من أهمها:

(١) أنها تستغرق وقتًا طويلًا مما قد يؤخر تقديم المساعدة فى موعدها المناسب، خاصة فى الحالات التي يكون فيها عنصر الوقت عاملًا فعالًا.

(٢) أنه إذا لم يحدث تجميع وتنظيم وتلخيص ماهر للمعلومات، فإنها تصبح عبارة عن حشد من المعلومات غامض عديم المعنى يضلل أكثر مما يهدي.

(٣) هناك بعض التحفظات التي تتصل بإمكانية تقبل طريقة دراسة تاريخ الحالة كطريقة علمية ذلك أن هذه الطريقة تستخدم فى إعادة بناء أحداث الماضي، ومن ثم ـ فإن هذه العلاقات السببية المستمدة من دراسة تاريخ الحالة تستخدم لهذا الغرض بالذات ولا يمكن إخضاعها للتحقيق التجريبي وتعتمد البحوث التي تستخدمها الدراسة الكلينيكية لتاريخ الحالة على أطفال شواذ(غيرعاديين) ـ إذ أن مفحوصيها يمثلون أطفالًا لم يتمكنوا من حل مشكلاتهم النفسية على النحو المُرضي السوى. وبالتالى فإن البيانات المتجمعة من دارسة تواريخ حالات مثل أولئك المفحوصين لا يمكن اعتبارها ممثلة للأطفال ككل.

(٤) بالإضافة إلى ما سبق ـ فإنه توجد محاذير علمية أخرى تدور حول فعالية ما يمكن أن نتوصل إليه من أحكام واستنتاجات استنادًا إلى بيانات خاصة بأحداث نفسية حدثت فى وقت مضي. فمجرد التلازم أو الاقتراب بين أية تأثيرات بيئية وانحرافات سلوكية. لا يكفى لإمكانية الإدعاء بوجود علاقة سببية بين المتغيرين.

ومع أن هناك نصائح وتوصيات تستند إلى أحكام وتعميمات معينة مستمدة من

بيانات خاصة بتاريخ الحالة يمكن أن تكون ذات قيمة كبيرة فى توضيح وتفسير مشكلات الطفل التوافقية، فإن المرء لا يستطيع أن يرتكن على أسس وأساليب معممة ويسلم بأن مثل هذه الأحكام والتعميمات سليمة فى كل الأحوال، فهناك نصائح وتوصيات أخري يمكن أن تكون على نفس المستوي من الفعالية. وقد ينجح الطفل فى حل مشكلاته التوافقية ـ حتي فى حالة عدم وجود أية نصائح أو توصيات. وهذه تمثل متاعب علمية ومصاعب تعترض إمكانية استخدام البيانات المتجمعة من دراسة تواريخ الحالة فى الأغراض العلمية.

(٧) الاستبيانات Questionnaires[1]:

تعتبر الاستبيانات من الأدوات البحثية شائعة الاستخدام فى أغلب البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية، وقد يستخدم الباحث استبيانا مُعدًا جاهزًا من خارج مجتمعه، ولكن يشترط أن يُعدّل فيه بما يتلاءم مع نظام القيم الذي يؤمن به الأفراد الذين سيطبق عليهم، وأن يكون مقننًا وفقًا لمعايير المجتمع الذي سيطبق فيه، وأن يختبر صدقه وثباته قبل الشروع فى إجرائه وتطبيقه على عينات البحث المختارة، ذلك لأن هذا الاستبيان عادة ما يكون جوهرًا لمقياس أو اختبار يستهدف تحقيق أهداف معينة محددة بذاتها. وُضِعَ من أجلها ولا يجوز استخدامه فى تحقيق غيرها.

وقد يُعِد الباحث بنفسه استبيانًا خاصًا بنوده من نوعية المعلومات التي يريد الحصول عليها بما يتلاءم مع قيم ومثل ومعايير المجتمع الذي سيطبق فيه(ماهر عمر، ١٩٨٨: ٥٩ ـ ٦٠).

---

(١) توجد ترجمات عربية عديدة للمصطلح الأجنبي Questionnaire فبعض الكتب تطلق عليه استبيان (والجمع استبيانات) أو قد تترجمه بمعنى استبانة (والجمع استبانات) وبعض الكتب يترجمها بمعنى استفتاء (والجمع استفتاءات) وهناك من يترجمها بمعنى " استخبار" (والجمع استخبارات) والبعض الرابع يترجمها " استبار" (والجمع استبارات) ... إلخ ومصطلح الاستبيانات هو الشائع في الاستخدام .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن استخدام الاستبيان كطريقة للبحث كان لأول مرة فى الولايات المتحدة الأمريكية على يد " ستانلي هول " S. Hall وتلميذه[1].

والاستبيان عبارة عن قائمة من الأسئلة يطلب من المفحوص الإجابة عنها لكي نعرف رأيه أو اتجاهه أو ميله إزاء موضوع معين، وغالبًا ما تستخدم هذه الوسيلة أو هذه الأداة من أدوات جمع البيانات فى المنهج الوصفى.

والاستفتاء(أو الاستبيان) عمومًا عبارة عن نوع من التقرير الذاتي يتميز بالسهولة فى الأداء، بيد أن ما يحمله إلينا من معلومات رهن بمدى أمانة "المستفتي" أو " المستخبر" ودقته فى التعبير عن حالته، الأمر الذي يقتضي صياغة الأسئلة بشكل يقلل بقدر الإمكان من هذا العيب.

ولكي تكون أسئلة الاستبيان ذات جدوى يتعين أن تتسم بما يلي:

(أ) أن تعالج مشكلة مهمة بالنسبة للفاحص والمفحوص.

(ب) أن تكون مختصرة، واضحة، دقيقة، وموضوعية.

(ج) أن ترتب ترتيبًا منطقيًا.

(د) أن تناسب سن المفحوص ومستواه العقلي والثقافى.

(هـ) أن تتضمن أسئلة مفتوحة تتيح للمفحوص التعبير عن رأيه بحرية إلى جانب الأسئلة المحددة التي يجاب عنها بنعم أو لا.

وهناك نوعان مختلفان إلى حد ما من الاستبيانات يمكن استخدامهما فى البحوث التي تُجرى على الأطفال. يختص النوع الأول ببحث آراء واتجاهات مجموعة معينة من المفحوصين بالنسبة لمشكلة معينة، مثل القيمة النسبية لبعض العادات او الممارسات التربوية، ويتضمن مثل هذا الاستبيان مجموعة من الأسئلة مثل:

---

(١) بدأت الدراسة المنظمة للمجموعات الكبيرة من الأطفال عندما أدخل " ستانلي هول" G. Stanley Hall طريقة استخدام الاستبيانات، وكان أهم عمل قام به هو أنه جمع أسئلة للمدرسين يسألونها للأطفال في المراحل الأولى، وبهذه الطريقة البسيطة تمكن من جمع الكثير عن خبرات الأطفال ومشكلاتهم. ولقد جمع هذه النتائج في دراسته عن محتويات عقل الطفل. والتي نشرت عام ١٨٨٣، ومقالته عن أكاذيب الأطفال عام ١٨٨٣.

(أ) هل تعتقد أن قراءة الكتب الفكاهية(الكوميدية) يمكن أن يـؤدي إلى جنـاح الأحداث؟

وتكون الإجابة بإحدى البدائل التالية: نعم( ) لا( ) لا أعرف( ):

(ب) هل تعتقد أن قراءة الكتب الفكاهية(الكوميدية) تزيد من مقدرة الأطفـال على القراءة.

وتكون الإجابة بإحدى البدائل التالية: نعم( ) لا( ) لا أعرف( )

وتتوقف قيمة أو فائدة البيانات المتجمعة من استبيانات هذا النوع على مدى فهم المفحوص لما هو مطلوب منه، وذكائه وفطنته، ومن ثم قد يبدو مثـل هـذا النـوع فى بعض الحالات مشكوكًا فى قيمتـه أو فعاليتـه فى مجـال علـم نفـس النمـو(إبـراهيم قشقوش، ١٩٨٨: ٧٧).

ويتناول النوع الثاني من الاستبيانات حقائق يستطيع المستجيبون ذكرها توًا سواء على أساس سجلات دائمة(مستمرة) تتاح لهـم ويـستخدمونها وقـت الإجابـة عـن أسئلة الاستبيان. ويمكن أن يتضمن مثل هذا النوع من الاستبيانات أسئلة مثل:

عمر الطفل..... الصف الدراسي:.....

ـ المبلغ الذي أنفقه فى شراء الكتب الفكاهية(الكوميدية).

خلال الأسبوع الأخير.....

خلال الشهر الأخير.....

ـ عدد الكتب التي استعارها من مكتبة المدرسة أو المكتبة العامة:

خلال الأسبوع الأخير.....

خلال الشهر الأخير.....

ويعتمد صدق البيانات المتجمعة عن طريق هذه الاستبيانات بـصفة عامـة عـلى مدى اهتمام الباحث ودقته فى صـياغة الأسـئلة المتـضمنة فى الأداة المـستخدمة مـن جهة، ثم مقدرة المفحوص واستعداده للتعاون مع الباحث من جهة أخرى، فعنـدما تكون الأسئلة واضحة ومحددة... فإنها تتفادي الغموض أو سوء الفهم مـن جانـب

المستجيبين، وبالتالي ـ يمكن أن تكون البيانات المتجمعة فى هذه الحالة على درجة عالية من الصدق والثبات. ومع ذلك ـ تخضع طريقة الاستبيان لاحتمال الخطأ بسبب النسيان أو سوء الفهم أو درجة الاهتمام من جانب المستجيب.

وهناك بعض الكتابات التي تقسم الاستبيانات إلى نوعين وذلك حسب نوع المعلومات والحقائق المستمدة منها، وذلك على النحو التالي:

(أ) الاستبيان الذي يرمي إلى الحصول على رأى مجموعة فى مواقف خاصة.

(ب) الاستبيان الذي يبحث عن الحقائق التي يعرفها الفرد الذي يقوم بالرد على هذا الاستبيان على أساس الملاحظة المباشرة(عزيز حنا وزكريا اثناسيوس، ١٩٧٠: ٣٣).

كذلك هناك من يُقسَّم الاستبيانات من حيث نوع الإجابات إلى نوعين كذلك:

(أ) الاستبيان المقيد وهو الذي تقيد فيه الإجابات وفق الأسئلة المحددة. وعلى المبحوث أن يختار من بين الإجابات المتعددة إجابة واحدة تعبر عن رأيه أحسن تعبير، وقد تقتضي الإجابة فى بعض الاستبيانات أن يجيب المفحوص بنعم أو لا، وهذا النوع من الاستبيانات أكثر موضوعية بالمقارنة بالاستبيان غير المقيد، حيث لا تحتمل إجاباته أية تأويلات أو تفسيرات أخري، يتدخل فيها الباحث، إلا أن من عيوبه أن المبحوث قد لا يجد فى الإجابة المقيدة ما يعبر عن رأيه فيضع العلامة أمام أية إجابة.

(ب) الاستبيان غير المقيد: هذا النوع يتيح للمبحوث أن يجيب إجابات طليقة يعبر فيها الفرد بحرية عن رأيه وأفكاره ومشاعره وفق ميوله وخبراته، ويستخدم هذا النوع من الاستبيانات لأن بعض الأسئلة لا تصلح فيها الإجابات المحددة ويحتاج فيها إلى رأى المفحوص بعمق وتفصيل. ومن عيوب هذا النوع عدم الموضوعية وتدخل العوامل الذاتية من الباحث عند تفسير الإجابات، كذلك صعوبة تفريغ البيانات وتحليلها وتفسيرها إذا ما قورنت بالاستبيانات المقيدة.(خليل معوض، ١٩٨٣: ٣٩) والشكل التالى يلخص الأنواع المتعددة للاستبيانات:

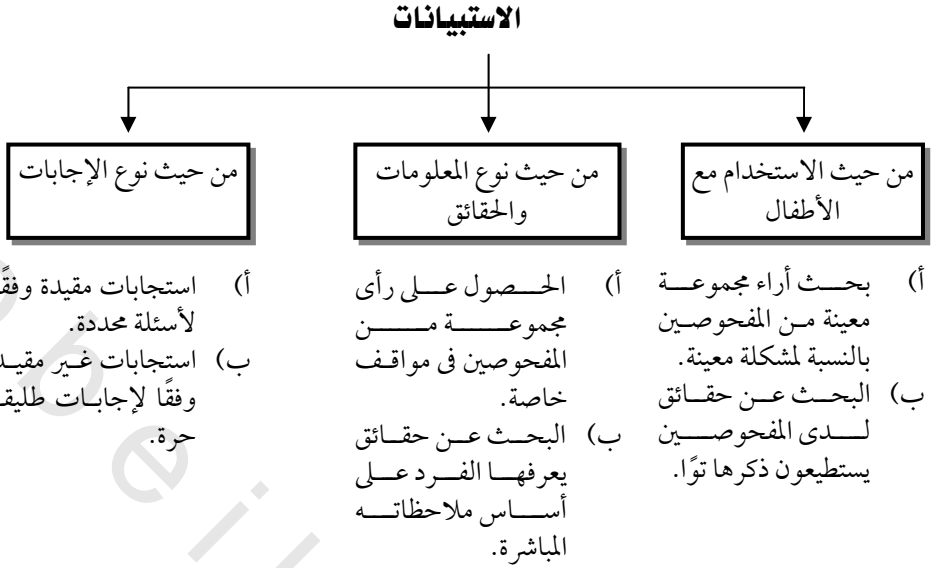

شكل يلخص الأنواع المتعددة للاستبيانات

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاستبيانات قد استخدمت على نطاق واسع كأداة للحصول على معلومات وبيانات وأيضًا لبحث آراء الأطفال واتجاهاتهم. ويمكن القول أن هذه الأداة من أدوات البحث وجمع البيانات قد أثبتت فاعليتها وجدواها فى مجال علم نفس النمو؛ خاصة فى الدراسات الاستكشافية أو الاستطلاعية، إذْ اعتمدت عليه دراسات أجريت فى هذا المجال عن القلق(كيستانيدا وآخرون Questaneda et al.، 1956؛ ساراسون وآخرون .Sarason et al،1960، واعتمدت عليه كذلك دراسات أخرى أجريت على اتجاهات اعتبار الذات(جتزلز ووالاش Getzels&Walash، 1958)؛ والاتجاهات نحو الأقران(كوش Kosh، 1956)،ثم تحمُّل المسئولية(هاريس Harris، 1957) وجوانب أخرى كثيرة فى سلوك الأطفال.

تقويم الاستبيانات:

وعلى أية حال، فإن الاستبيانات كأداة لجمع المعلومات فى مجال سيكولوجية النمو تتعرض لانتقادات كثيرة... على الرغم من إمكانية الاعتماد عليها فى بعض الأحيان فى الحصول على بيانات ذات قيمة كبيرة عن الأطفال كما سبق أن أشرنا منذ

قليل. وهى أداة تستخدم أكثر من غيرها لدى الباحثين غير المدربين، بسبب ما تنطوى عليه من سهولة واضحة. ويشير بعض الباحثين ذوى الكفاية والمقدرة إلى أن هذه الطريقة ـ أى جمع البيانات والمعلومات باستخدام الاستبيانات ـ يمكن أن تؤدى إلى نتائج صادقة وثابتة، عندما تستخدم بمهارة فى موضعها المناسب؛ إذ يتطلب استخدامها فهمًا دقيقًا لأساليب تعميم الاستبيانات فى صورها المختلفة، كما يتطلب هذا الاستخدام معرفة سليمة بصفات وخصائص المستجيبين موضع البحث. وقد يساء استخدام هذه الأداة عندما ينظر إليها بعض الباحثين على أنها مجرد مجموعة من الأسئلة والإجابات، عندئذ تبدو النتائج المستمدة منها نتائج ضحلة أو متضاربة وغير صادقة.

وعلى ذلك يمكن أن نحدد بعض المزايا التى تتمتع بها الاستبيانات بصفة عامة، ثم نشير فى ختام حديثنا عنها إلى أوجه النقص بها، حيث لا تخلو أية أداة ـ مهما كانت دقتها وصدقها ـ من بعض العيوب التى تظهر عند التطبيق.

مميزات الاستبيانات:

تتميز طريقة استخدام الاستبيان بعدد من المميزات نذكر منها:

١- أنه يستخدم إما بالاتصال المباشر بالمفحوصين، أو عن طريق إرساله لهم بالبريد إذا كانوا منتشرين فى مناطق متباعدة عن بعضها ويصعب الاتصال بهم مباشرة.

٢- أنه يتيح فرصة كبيرة للمفحوصين لقراءة بنود الاستبيان والتمعن فيها إذا استخدم بالطريقة المباشرة، وإتاحة فرصة لهم أكبر للتشاور مع غيرهم حول بنود الاستبيان إذا استخدم بالطريقة البريدية.

٣- أنه يتيح فرصة للمفحوصين للإستجابة على بنود الاستبيان بدون خجل وبلا حساسية وبصراحة مطلقة، لأنه غير مطلوب منهم ذكر أسمائهم ولا التعرف عليهم، فليس المهم من هم؟ ولكن ماذا هم؟

٤- أنه يعتبر أكثر موضوعية من غيره من أدوات جمع البيانات لأنه لا يتأثر بأية

تحيزات ذاتية ولا انحيازات شخصية من قبل الباحثين، ولأنه يتمتع بظروف تقنين جيدة مبنية على أسس تجريبية علمية تدعم دقة المعلومات المتحصل عليها باستخدامه.

٥- أن استخدامه يوفر الجهد والوقت والمال حيث يحتاج إلى قلة من المساعدين يجمعون البيانات، ولا يشترط أن يحضر الباحث بنفسه أثناء إجرائه ويمكن جمع كمية كبيرة من المعلومات من عدد كبير من المفحوصين فى وقت قصير محدود(ماهر عمر، ١٩٨٨: ٦٠).

٦- أنه من السهل تبويب وتحليل نتائجه بالطرق الإحصائية.

حدود الاستبيانات:

تُنتقد طريقة استخدام الاستبيان عمومًا لتوفر عدد من العيوب يمكن ذكرها فى نقاط محددة هى:

١- لا يصلح، ولا يمكن استخدامه مع الأفراد الأميين غير الملمين بالقراءة والكتابة، كما أنه لا يمكن استخدامه مع الأطفال الصغار فى المرحلة الابتدائية لأنه يعتمد على القدرة اللفظية فى الاستجابة إلى بنوده.

٢- زيادة نسبة الفاقد فى المعلومات المتحصل عليها باستخدامه حيث قد يسلم كثير من المفحوصين استماراتهم(قوائم الاستبيان) بدون استجابة لكثير من بنودها فى حالة الطريقة المباشرة، وقد لا يرسلها المفحوصون نهائيًا إلى الباحث فى حالة الطريقة البريدية.

٣- تفقد بنود المراجعة Checking items أهميتها والتى يضعها الباحث فى استبيانه للتحقق من صدق المفحوص وثبات إجابته على معلومة معينة، وذلك لسهولة ربط البنود المتشابهة والتى تتطلب استجابات متماثلة عندما يطلع المفحوص على كل البنود الواردة فى الاستبيان بنظرة كلية فاحصة مستطلعة.

٤- يتطلب الاستبيان مهارة فائقة وخبرة سابقة فى إعداده من حيث اختيار

البنود المناسبة التى يجب أن تغطى كل المجالات المتعلقة بالظاهرة المراد قياسها(المرجع السابق: ٦١).

٥- قد تثير أسئلة الاستبيان الشعور بالحرج أو الحساسية بالنسبة للموضوع الذى تسأل عنه، أو قد تتضمن موضوعات وقضايا محل خلاف أو جدل بين الناس فتصبح الإجابات غير دقيقة.

٦- قد يعطى المفحوص إجابات مرغوب فيها اجتماعيًا رغبةً فى الظهور بمظهر حسن فى موقف الإختبار على عكس حقيقة الفرد.

مواصفات الاستبيان الجيد:

فى ضوء الانتقادات التى وجهت للاستبيان ـ كأداة من أدوات جمع البيانات ـ وسعيًا إلى إعداد استبيان جيد، يحقق أغراض البحث، فقد اقترح بعض الباحثين العديد من المواصفات التى يتعين أن تتوفر فى الأستبيان الجيد، وذلك على النحو التالى:

١- اللغة المفهومة، والأسلوب الواضح الذى يحقق الغرض: حيث ينبغى أن تكون لغة العبارات المستخدمة واضحة ومفهومة، ولا تتحمل التفسيرات المتعددة، والمعانى غير المحددة؛ لأن ذلك يسبب غرباكًا فى تفسيرها على يد الأشخاص المعنيين بالإجابة، وباتالى فإن الباحث سيحصل على إجابات غير دقيقة لأسئلة الاستبيان. فإن من الضرورى أن تستخدم الجُمل القصيرة التى يسهل متابعتها، والربط بين معنى ومغزى ما هو مطلوب الاستفسار عنه ومعرفته.

٢- مراعاة الوقت المتوفر لدى الأشخاص المعنيين بالإجابة عن أسئلة الاستبيان، وبعبارة أوضح يجب ألا تكون الأسئلة طويلة وتبعد الأطراف عن التجأوب مع الباحث فى تزويده بالمعلومات أو الإجابة عن التساؤلات، أو تجعل إجاباتهم سطحية سريعة وغير دقيقة نظرًا لتسرب الملل إليهم نتيجة الوقت الطويل المطلوب للإجابة.

٣- توفُّر مرونة كافية في الإجابة، وكذلك فى الخيارات المطروحة، فهناك عدد من الأسئلة التى قد تحتمل أكثر من وجه واحد فى الإجابة أحيانًا، كما أن توفير عدد كافٍ من الاختيارات، والمرونة فى الإجابة، تمكن الأشخاص المعنيين بالإجابة من التعبير عن أرائهم وأفكارهم تعبيرًا دقيقًا وصائبًا.

٤- استخدام الكلمات الدقيقة، والعبارات اللائقة المؤثرة فى نفوس الآخرين؛ فهناك كلمات من قبيل: رجاءًا، وشكرًا، تجد طريقها إلى نفوس وقلوب الأشخاص المعنيين بالإجابة على استفسارات الاستبيان، وتشجعهم فى التجأوب والتعأون فى كتابة البيانات والمعلومات، وإرسالها إلى الباحث.

٥- التأكد من جود ترابط بين أسئلة الاستبيان المختلفة، وكذلك وجود ترابط بينها، وبين موضوع البحث ومشكلته، وعدم الخروج عن الموضوع من جهة، وعدم إغفال أى سؤال مهم للموضوع من جهة أخرى.

٦- الابتعاد عن الأسئلة المحرجة التى تبعد الأشخاص المعنيين عن التجأوب مع بنود وأسئلة الاستبيان أو الإدلاء بالمعلومات المطلوبة، وبعبارة أخرى يتعين أن يضع مُعِد الاستبيان نفسه مكان الشخص أو الأشخاص المستجيبين، وأن يبتعد عن الأسئلة التى لا يرضاها لنفسه، والتى تسبب حرجًا شخصيًا أو وظيفيًا لهم.

٧- الابتعاد عن الأسئلة المركبةن التى تشتمل على أكثر من فكرة واحدة عن الموضوع المراد الاستفسار عنه؛ لأن فى ذلك إرباكًا للشخص أو للأشخاص المعنيين بالإجابة.

٨- تزويد الأفراد أو الجهات المعنية بالإجابة عن الاستبيان بمجنوعة من التعليمات والتوضيحات المطلوبة فى الإجابة، وبيان الغرض من الاستبيان، ومجالات استخدام المعلومات التى سيحصل عليها الباحث.

٩- يستحسن غرسال مظورف يُكتَب عليه عنوان الباحث بالكامل، بغرض

تسهيل مهمة غعادة الاستبيان بعد كتابة المعلومات المطلوبة، وربما يكون من الأفضل وضع طابع بريدى على المظروف فى حالة إرساله بالبريد؛ لتسهيل مهمة التعأون والتجأوب السريع مع الأشخاص والجهات المعنية بالإجابة. (عامر قند يلجى، ٢٠٠٨: ١٧٠).

ويضرب (عامر قند يلجي، ٢٠٠٨: ١٧٢) أمثلة لبعض التعليمات والتوضيحات التي يتعين أن تترافق مع أسئلة الأستبيان، وذلك على النحو التالى:

أ ـ رسالة قصيرة توضح الغرض من الاستبيان، وكذلك تعريف قصير بالباحث، ومرحلته الدراسية، أو درجته العلمية، أو الوظيفية والمؤسسة التى كلفته بإجراء البحث.

ب ـ توضيح وضع الإشرات على الإجابات المناسبة، مثال ذلك:

– يرجى الإجابة عن الاستفسارات عن طريق وضع علامة (√) أو إشارة (×) داخل المربع الذي يناسب الإجابة.

جـ ـ بعض الاستفسارات تحتمل وضع إشارة على أكثر من مربع واحد؛ لذلك يرجى وضع إشارة أو أكثر في المربع أو المربعات التى تشير إلى الإجابة أو الإجابات الصحيحة.

د ـ يُرجى الإجابة عن كافة استفسارات الاستبيان، وعدم ترك أى سؤال إلا إذا طُلب منك ذلك بغرض تحقيق هدف البحث.

هـ ـ كما يُرجى التفضل بإرسال البيانات بعد استيفاء الإجابة عن كافة البنود إلى العنوان التالى:

(يذكر العنوان الخاص بالباحث كاملًا، أو يرسل مظروف عليه العنوان).

و ـ تقديم الشكر والامتنان على التعأون، مثال ذلك:

(شاكرين لكم تعاونكم فى خدمة البحث العلمي...).

والشكل التالى يشير إلى أنواع الاستبانة وأساليب تطبيقها:

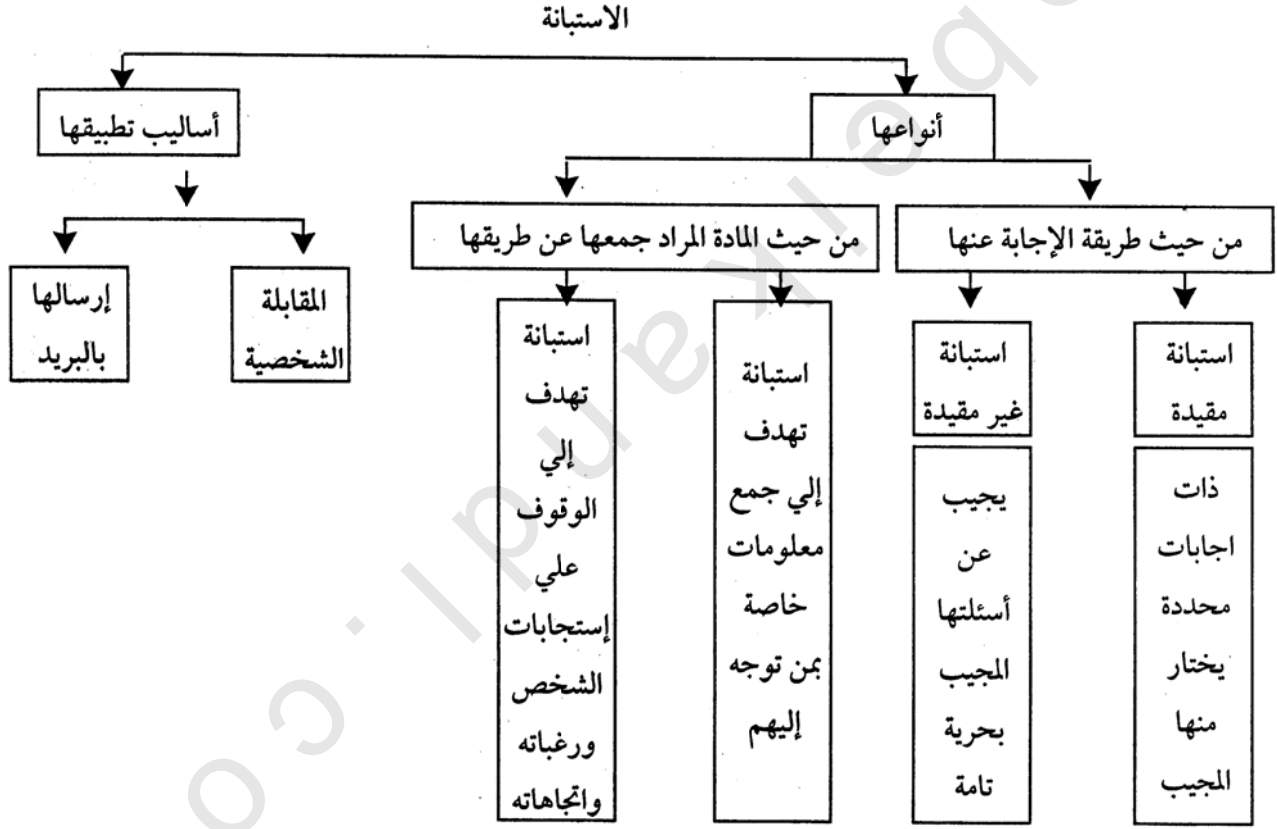

شكل (٧) أنواع الاستبانة وأساليب تطبيقها

(٨) المقابلة Interview:

يميل كثير من الناس لتقديم معلومات شفويًا أكثر من تقديمها كتابة، فهم يعطون البيانات كاملة وبسهولة أكثر فى المقابلة الشخصية منها فى أية وسيلة أخري كاستخدام الاستبيان مثلًا(وهو إحدى وسائل جمع البيانات سيأتي الحديث عنه فيما بعد).والواقع أن هناك مميزات عديدة تنشأ من التفاعل الودي فى المقابلة الشخصية، لا يمكن الحصول عليها فى الاتصال غير الشخصي المحدود عن طريق الاستبيان إذ يستطيع الباحث عندما يقابل المفحوصين وجهًا لوجه، أن يشجعهم باستمرار وأن يساعدهم على التعمق فى المشكلة، وخاصة فى المشكلات ذات الصبغة الانفعالية.

كما يستطيع المقابل أن يصل عن طريق التعليقات العرضية للمفحوصين، وتعبيرات الوجه والجسم، ونغمة الصوت، إلى معلومات قد لا يجدها فى الإجابات المكتوبة، وتساعد هذه الدلائل السمعية والبصرية فى فهم إيقاع ونغمة المحادثة الخاصة بحيث يستثير المعلومات الشخصية والسرية ويحصل على معلومات عن الدوافع والعواطف والاتجاهات والمعتقدات.

ويعتبر توجيه الأسئلة شفويًا، وسيلة ملائمة لجمع البيانات من الأطفال الصغار والأميين، بصفة خاصة.

ومن الممكن أن يدرك القارئ بسرعة التشابه الظاهر بين أسلوب " سبر الغور" عن طريق المقابلة، والأسئلة التي توجَّه فى الاختبارات والاستبيانات، ومع ذلك فثمة اختلافات واضحة ومهمة. فالمقابلة بالتأكيد أكثر مرونة. فالقائم بالمقابلة يمكنه أن يستجيب للمفحوص فى ضوء ما يقوله الأخير، كما يمكنه أن يغير من أسلوبه أو أسئلته لتلائم استجابات المفحوص، وإذا وجد القائم بالمقابلة ممانعة من المفحوص فى الإجابة عن أنواع معينة من الأسئلة، فإنه قد يرجئها إلى نهاية المقابلة أو قد يوجهها بطريقة غير مباشرة حتي لا تثيرها الصورة المباشرة لتوجيه الأسئلة، أو قد يسلك القائم بالمقابلة مسلك الملاحظ فى موقف دراسة السلوك ويظل باستمرار متيقظًا للاستجابات الانفعالية التي قد تبدو على الفرد من احمرار الوجه أو لعثمة أو

غضب بالنسبة لأنواع معينة من الأسئلة فمثل هذه الأمور تسمح للقائم بالمقابلة أن يكون أكثر تفهمًا وتقديرًا لما يقال، أو لما قد يبدو فحسب ـ على السطح ـ فى استفتاء مقنن، وغير شخصي أو فى اختبار اتجاه.

ومن هنا اعتُبِرت المقابلة أداة بارزة فى كثير من الميادين. ووسيلة من أهم الوسائل المستخدمة فى البحوث النفسية والاجتماعية، كما أنها تعتبر المحور الأساسي الذي تدور حوله عمليات التوجيه التربوى. والمهني وعمليات الإرشاد والعلاج النفسى.

لا شك إذن فى أن المقابلة وسيلة مهمة فى جمع المعلومات والبيانات. وتهيئة الفرصة أمام القائم بدراسة متكاملة للحالة المطروحة وذلك عن طريق المحادثة الهادفة والفهم الشامل للمفحوص. وتبرز أهمية المقابلة، بشكل خاص، فى أنها عملية دينامية، إذ يتاح فيها للمفحوص فرصة التعبير الحر عن مشاعره وآرائه واتجاهاته، كما أنها فى الوقت نفسه، ترمي إلى ملاحظة سلوك المفحوص فى أثناء المقابلة ملاحظة كلية.

وفى ضوء كل ما سبق يمكننا تعريف المقابلة بأنها عبارة عن " محادثة منظمة، موقف مواجهة، وحسب خطة معينة، ذات هدف قد يكون:(أ) الحصول على المعلومات؛(ب) الإرشاد والتوجيه والعلاج؛(ج) إجراء اختبار معين أو إعطاء استبيان.

وواضح من هذا التعريف أن المقابلة تنطوي على عناصر أساسية أهمها:

(أ) وجود هدف رئيسي للمقابلة، هو الذي يحدد الموضوعات التي تدور حولها المناقشة. ويرسم الإطار العام للأسئلة التي توجَّه خلالها.

(ب) اعتمادها على التبادل اللفظى.

(جـ) توفُّر عنصر المواجهة.

(د) قد تتم مع فرد أو جماعة من الأفراد(فيصل عباس، ١٩٨٣: ٧٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هدف المقابلة يختلف باختلاف الغاية التي تسعي المقابلة لتحقيقها، فلكل نوع من أنواع المقابلات غرضًا محددًا وغاية يحاول الفاحص تحديدها حتي يمكن الوصول إليها ولا بد لكي تحقق المقابلة الغرض المطلوب أن تتم وفق الشروط التالية:

(أ) تكوين علاقة ألفة ومودة Rapport بين الباحث والمفحوصين.

(ب)أن تتم فى مكان وزمن ومناخ ملائم.

(ج) أن تكون الأسئلة المطروحة فيها واضحة ملائمة لمستوى المفحوص العقلي وظروفه الخاصة.

(د) أن تكون وسيلة تسجيل الاستجابات فى الحال. إذا سمحت الظروف بذلك أو بعد الانتهاء مباشرة من المقابلة حتي لا ينسي الباحث، ويمكن استخدام وسائل التسجيل إذا وافق المفحوص على ذلك مع التأكيد على سرية ما يدلي به من معلومات. أما فى حالة إجراءات المقابلة مع الأطفال، فقد يلجأ الباحث إلى مقابلة الأب أو الأم أو المدرس إذا كانت سن الطفل لا تسمح بالحصول على المعلومات المطلوبة منه بالدقة المرجوة(هدى برادة وفاروق صادق، ١٩٨٠: ٢١).

وفيما يتعلق بالأسئلة المطروحة فى المقابلة يرى البعض أنه من المستحسن البدء بالأسئلة التي لا تستثير فى المفحوص موقفًا سلبيًا، أى الأسئلة التي يستطيع أن يجيب عنها دون إثارة الانفعال أو الشعور بالعجز أو عدم الرغبة فى الإجابة. وكذلك البدء بالأسئلة العامة، قبل الدخول فى الأسئلة النوعية الخاصة، فهذا يساعد الفاحص فى التغلب على مقاومة المفحوص.

أنواع المقابلات:

يتوقف نوع المقابلة ـ كما سبقت الإشارة ـ على الهدف منها. وعلى تفضيل القائم بالمقابلة، وبعض المقابلات غير مقنن وبعضها الأخر مقنن. وهناك أسماء أخري كثيرة للمقابلات، وذلك حسب مجالات البحوث المختلفة التي تُطَبق فيها، وسوف نشير هنا إلى بعض أنواع المقابلات:

(أ) المقابلة الفردية والمقابلة الجماعية:

تجرى معظم المقابلات فى موقف خاص مع فرد واحد فى نفس الوقت، لكي يشعر بالحرية فى التعبير عن نفسه، تعبيرًا كاملا وصادقًا، على أن المقابلات الجماعية، تؤدي أحيانًا إلى بيانات أكثر فائدة؛ فحينما يجتمع أفراد مؤهلون بخلفيات مشتركة أو مختلفة معًا، يمكنهم معالجة مشكلة أو تقويم مزايا قضية ما. كما يمكنهم أن يساعدوا بعضهم البعض على تذكر عناصر المعلومات أو مراجعتها أو تنقيحها.

على أن بعض المفحوصين قد يحجمون عن التعبير عن بعض النقاط أمام الجماعة، بينما يمكنهم الكشف عنها فى مقابلة خاصة، هذا بالإضافة إلى أن شخصًا واحدًا(وليس من المحتم أن يكون أكثرهم علمًا) قد يسيطر على المناقشة بحيث لا تكتشف وجهات نظر المشتركين الآخرين اكتشافًا كاملًا.

(ب) المقابلة الاستفهامية:

وهى تهدف إلى جمع المعلومات والبيانات عن الطفل أو المراهق، وذلك عن طريق أفراد الأسرة، والأقارب،والأصدقاء بقصد تقييم حالة أيًا منهما والكشف عن أبعاد الشخصية من خلال المظاهر النمائية المتعددة.

(جـ) مقابلة البحث الشخصي للحالة:

وهى تستخدم من أجل جمع بيانات تفصيلية عن حالة الفرد منذ نشأتها حتي وضعها الحالي، وكذلك جمع المعلومات عن حالة الفرد الأسرية والتعليمية والصحية.

(د) المقابلة المقننة(المقيدة):

يختلف تركيب المقابلات باختلاف عدد المشتركين، فبعض المقابلات تكون رسمية ومقننة تقنينًا جازمًا: أي توجه نفس الأسئلة بنفس الطريقة والترتيب لكل مفحوص، وتقتصر الإجابة على الاختيار من إجابات محددة فى قائمة تحدد تحديدًا مسبقًا وحتي الملاحظات الخاصة بالتمهيد للمقابلة أو اختتامها تقدم بانتظام. وهذه المقابلات المقننة علمية فى طبيعتها أكثر من غير المقننة. لأنها توفر الضوابط اللازمة

التي تسمح بصياغة تعميمات علمية. على أن لهذه المقابلات المقننة عيوبًا معينة. إذْ أن ضرورة جمع بيانات كمية تسمح بالمقارنة بين جميع المفحوصين بطريقة موحدة، توجد جمودًا فى إجراءات البحث يجعل التعمق بدرجة كافية، شيئًا مستحيلًا.(فان دالين، ١٩٨٥: ٤٦١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن قدر التقنين فى المقابلة المقننة قدر متغير. ففى الحالات الأكثر تزمتًا. تظل قائمة الأسئلة التي يوجهها القائم بالمقابلة إلى المفحوصين هى نفسها لا يخرج عنها إلا فيما ندر. وفى الحالات الأكثر تحررًا، قد يعُطى القائم بالمقابلة نفسه بعض الحَّرية فى إدخال أسئلة إلى جانب الأسئلة الأخرى التي يوجهها إلى الجميع، ومن الممكن استخدام صور مقننة لتسجيل إجابات المفحوصين، وملاحظات القائم بالمقابلة على سلوكهم.

(هـ) المقابلات غير المقننة(غير المقيدة):

توصف المقابلات غير المقننة بأنها مقابلات مرنة، إذ أن ما يوضع من قيود على استجابات المفحوصين قليل. فإذا وُجَّهَت إلى المبحوث أسئلة سبق تخطيطها، فإن هذه الأسئلة تُعدل بحيث تناسب الموقف وتناسب المفحوصين ويشجع المفحوصين أحيانًا على التعبير عن أفكارهم بحرية، ويقدم قليل من الأسئلة فقط لكي توجه حديثهم. وفى بعض الحالات يتم الحصول على المعلومات بطريقة عارضة بحيث لا يكون المفحوصين واعين بأنهم فى مقابلة شخصية.

ويستطيع الباحث فى المقابلة غير الرسمية وغير المقننة أن ينفذ خلف الإجابات المبدئية وأن يتتبع الإشارات غير المتوقعة، وأن يعيد توجيه البحث فى مسالك أكثر إثمارًا بناء على البيانات التي تتكشف وأن يعدَّل من فئات الأسئلة ليتمكن من تحليل أكثر دلالة للبيانات. على أن الصياغة الكمية للبيانات الكيفية المتجمعة من المقابلة غير المقننة قد يكون أمرًا عسيرًا وقد تُحدث الأساليب غير الموحدة المستخدمة بعض المتغيرات غير الملائمة ويترتب على ذلك عادةً استحالة مقارنة البيانات المجتمعة من مقابلات متعددة واستنتاج التعميمات التي يمكن تطبيقها بصفة عامة.

ولا تُستخدم المقابلات غير المقننة عادةً حينما يقوم الباحث باختبار صدق فروضه أو التحقق منها. وإنما يعد هذا النوع من المقابلات أداة قيمة فى المرحلة الاستكشافية من البحث: فحينما يكون الباحث غير متأكد من الأسئلة التي سيوجهها، وكيف يوجهها، فقد تكشف له المقابلة غير المقننة(والتي تسمي أحيانًا مقابلة غير رسمية) جوهر المشكلة التي يبحثها، وتساعده فى اختيار الأسئلة وصياغتها للاستفتاءات أو المقابلات المقننة وقد تمده المقابلة غير المقننة أيضًا باستبصار بالدوافع الإنسانية والتفاعل الاجتماعي مما يمكَّن الباحث فى نهاية الأمر من صياغة فروض توَّصلَه إلى تحقيق الغاية من بحثه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث يتعين عليه أن يكون مُلمًا(على دراية) بأساليب تطبيق طريقتي المقابلة المقننة وغير المقننة، وذلك لأنه عرضةً لأن يستخدم النوعين فى أثناء البحث.

وهناك نوعان من المقابلات غير المقننة هما:

الأول: مقابلة التعمق غير الموجهة.

الثانى: المقابلة المركزة.

النوع الأول: مقابلة التعمق غير الموجهة:

أحيانًا تكون المقابلة غير الموجهة. والتي غالبًا ما تصطبغ بخواص التحليل النفسي أنسب الطرق للوصول إلى استبصارات بالدوافع الخفية أو الكامنة. والاتجاهات غير المعترف بها، والآمال والمخاوف، والصراعات الشخصية، والعلاقات الدينامية بين الاستجابات. فبدلًا من توجيه عدد من الأسئلة المباشرة أو المحددة مسبقًا، للحصول على عناصر معينة من المعلومات يسمح الباحث للمفحوص بالتحدث بحرية وبصورة كاملة فيما يتعلق بقضية أو واقعة أو علاقة معينة، وبينما يحكي المفحوص قصته يعمل الباحث كمستمع جيد، فيتدخل عن طريق " همهمة " فطنة أو ينطق عبارة مثل " هذا أمر على قدر من الأهمية " أو "

استمر" أو يوجه سؤالًا عامًا لكي يستثير تدفق المحادثة، وحينما تقترب المقابلة من نهايتها قد يسأل بعض الأسئلة المباشرة لكى يملأ الثغرات ويكمل المناقشة. وعن طريق وضع قيود قليلة على اتجاه المناقشة، وتشجيع مدى واسع من الاستجابات يحصل الباحث على صورة طبيعية ممثلة لسلوك المفحوص؛ ويكتسب استبصارًا بخصائص وأعماق اتجاهاته ودوافعه وعواطفه ومعتقداته.

النوع الثانى: المقابلة المركزة:

المقابلة المركزة أقل شيوعًا من مقابلة التعمق. وهى " تركز" الانتباه على خبرة محسوسة مر بها المفحوص، فإذا كان قد شاهد مسرحية أو قرأ كتابًا، يبذل الباحث جهدًا لمعرفة الآثار الخاصة التي أحدثتها هذه الخبرة فيه.

ولكي يسبر(يختبر) الباحث اتجاهات المفحوص واستجاباته الانفعالية. عليه أن يحلل المسرحية أو الكتاب تحليلًا كاملًا قبل مقابلته. ويُعِد أسئلة تُستخدم كإطار للمناقشة. ويقصر المحادثة أثناء المقابلة على هذه القضايا المناسبة ويسمح للمفحوص أن يعبر عن نفسه تعبيرًا كاملًا. على أن يوجه الباحث خط تفكيره.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مزايا المقابلة المقننة هى نفسها عيوب المقابلة غير المقننة والعكس صحيح. فالمقابلة المقننة تشكل موقفًا متشابهًا بالنسبة لجميع الأشخاص. ولا يمكن بالطبع أن نقول إنه موقف مماثل. ولكن عينة السلوك ستكون واحدة إلى حد كبير بالنسبة لجميع الأشخاص. ومن هنا تكون المقارنات بين الأشخاص أكثر عدلًا، كما أن المعلومات التي نحصل عليها تتصل بنفس السمات عند جميع الحالات.

ولكن الموقف فى المقابلة المقننة يكون إلى حد ما غير طبيعي. وإن كان الشخص سواء فى المقابلة المقننة أو غير المقننة، لا بد أن يدرك أنه فى موقف مقابلة، غير أنه فى موقف المقابلة المقننة ـ لاقتصار الباحث على أسئلة محددة تقريبًا ـ قد يغفل جوانب معينة من سمات شخصية الفرد قد لا تحتويها الأسئلة الموضوعة.

(و) المقابلة المرافقة للاختبارات النفسية:

ويقوم بها الأخصائي النفسي على مرحلتين:

الأولى: مقابلة ما قبل الاختبار النفسي،وذلك لتهيئة المفحوص ـ سواء كان طفلا أو مراهقًا – عقليًا ونفسيًا للتخفيف من مخاوفه وقلقه من موقف الاختبار حتي يكون أدائه سليمًا.

والثانية: مقابلة ما بعد إجراء الاختبار،وذلك لإشباع رغبة المفحوص فى معرفة نتائج الاختبارات التي طبقت عليه. وهذا الإجراء له بالغ الأثر على نفسية المفحوص لأن معرفة النتائج تخفف من حدة التوتر الناشئة عن تطبيق الاختبارات، كما أنه يساعد فى توجيه المفحوص. ويسمي البعض هذه المقابلة " المقابلة الاختيارية "(نايفة قطامى ومحمد برهوم، ١٩٨٩: ٤٥).

(ز) المقابلة المهدة للعلاج النفسى:

وتهدف هذه المقابلة إلى تعريف المفحوص بمشكلة وبطريقة العلاج المناسبة، وضرورة التعاون مع الفاحص، وفى هذه المرحلة يكون الاهتمام موجهًا نحو إستيضاح المشكلة التي يعاني منها المفحوص، والسؤال عن توقعاته الحاضرة. ويقوم الأخصائي الكلينيكي(الفاحص) بتوعية المفحوص بمشكلته،وتوضيح إمكاناته المتاحة، وتعديل آرائه واتجاهاته الخاطئة نحو نفسه ونحو العلاج النفسي معًا، وفى نفس الوقت تستهدف المقابلة الممهدة للعلاج النفسي مساعدة المفحوص على تنمية شخصيته وتعديل سلوكه نحو الأفضل بصفة عامة[1].

تقويم فعالية المقابلة كأداة من أدوات جمع البيانات والمعلومات:

يتضح مما سبق أن المقابلة الجيدة ليست مجرد سلسلة من الأسئلة العرضية والإجابات العامة. بل هى خبرة دينامية بين شخصين يتم التخطيط لها بعناية.

(١) لمزيد من الضوء على طريقة المقابلة كأداة من أدوات جمع البيانات يمكن الرجوع إلى كتاب: المقابلة في الإرشاد النفسي والعلاج النفسي تأليف ماهر محمود عمر(١٩٨٥): الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ـ وبصفة خاصة الفصل الثاني ص ص ٥١ ـ ٧١.

لتحقيق هدف معين؛ فخلق جو ودّي متسامح، وتوجيه المناقشة فى الاتجاهات المطلوبة،وتشجيع الفرد موضع المقابلة على كشف المعلومات، وإثارة دوافعه لكي يستمر فى تقديم حقائق مفيدة، كل ذلك يتطلب درجة عالية من المهارة والكفاءة الفنية، ولتقويم فعالية المقابلة يجب على الباحث أن يتذكر دائمًا العوامل التالية:

الأول: الإعداد للمقابلة:

وفى هذا العامل يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة منها على سبيل المثال: هل حدد مسبقًا، ميادين المعلومات التي ستتناولها المقابلة؟ وهل أعد الأسئلة المناسبة لاستخلاص البيانات المطلوبة؟ هل أدخل بعض التعليقات التي تجعل الفرد موضع المقابلة يشعر بارتياح واستثارة تدفق الحديث؟ هل عرف أكبر قدر ممكن عن ميول المفحوصين وأفكارهم وأُطرهم المرجعية[1] حتى يستطيع أن يكسب ثقتهم ويتجنب معاداتهم،ويستخلص خبراتهم ومجالاتهم المعرفية الخاصة؟ هل حصل على المعلومات الكافية لفهم أُطرهم المرجعية وتفسير إجاباتهم تفسيرًا صحيحًا؟ هل عيَّن موعدًا محددًا للمقابلة فى وقت مناسب للمفحوص؟ هل أجرى المقابلة فى بيئة يرتاح لها المفحوص؟(عادة فى مقابلة خاصة) وفى موقف يمكن الحصول فيه على أكثر المعلومات نفعًا، هل أجرى عددًا قليلًا من المقابلات المبدئية لاكتشاف نواحي الضعف فى مناهجه أو طريقته أو أسئلته أو نظامه فى

---

(١) الإطار المرجعى : Frame Of Reference

معيار يستخدمه الفرد للحكم على أفكاره وأفعاله وما يتوصل إليه من نتائج. وعادةً ما يكون الإطار المرجعي للفرد هو أبعاد الواقع والنواحي الأخلاقية وغيرها التي تشكل خريطته المعرفية Cognitive Map التي يستخدمها في تقويم العالم الواقعي ومواجهته. والخريطة المعرفية خريطة نظرية أو نمط يتشكل في عقل الفرد لحل مشكلات كالمتاهة مثلاً. والمفهوم يستند إلى مسلمة مؤداها أن الفرد يبحث عن قرائن وموجهات ويجمع بينها كالعلاقات البيئية أكثر من كونه متلقياً سلبياً للمعلومات التي يحتاجها لتحقيق الهدف. وقد وضع مصطلح الخريطة المعرفية في الأصل " تولمان" Tolman (انظر : جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفافي (١٩٨٩) معجم علم النفس والطب النفسي. الجزء الثاني، ص٦٤٦، الجزء الثالث، ص ١٣٣٠، القاهرة : دار النهضة العربية) .

التسجيل؟ إلى آخر الأسئلة التي من شأن الإجابة عنها أن تجعل المقابلة أداة ذات جدوى فى البحث.

الثانى: تكوين العلاقة:

هل كان المقابل لطيفًا، كفؤًا، صريحًا، ومتزنًا؟ هل تجنب الإسراف فى العاطفة أو الجد أو التعاطف مع المفحوصين؟ هل تحاشي أسلوب التعالي أو الحماية أو الدهاء أو الخبث أو العنف مع المفحوص؟ هل استخدم ألفاظًا مناسبة ومدخلًا ملائمًا فى العمل مع الفرد موضع المقابلة؟ وهكذا..

الثالث: استدعاء المعلومات:

ومن الأسئلة أيضا التي يتعين على الباحث أن يسألها إذا قام هو بالمقابلة ما يلي: هل كان مستمعًا محللًا، يقظًا، يفطن عند الضرورة إلى إعادة سؤال أو شرحه؟ هل كان يكتشف الإجابات الغامضة أو المتناقضة أو الهروبية أو المخادعة؟ هل كان يوجه بمهارة أسئلة بديلة أو أسئلة ثاقبة، حتي يساعد الأفراد الذين يجرى معهم المقابلة على تذكر المعلومات، أو التفصيل فى عباراتهم،أو توضيح تفكيرهم، أو مراجعة الحقائق، أو تقديم دليل أكثر تحديدًا وواقعية؟ هل كان يوجه الأسئلة بالسرعة التي تلائم أفراد المقابلة؟ هل كان يوجه الأسئلة العامة أولًا ثم يجعل الأسئلة التالية أكثر تركيزًا؟ هل كان يتتبع الإشارات المهمة التي أعطتها له استجابات المفحوصين، ويواصل توجيه الأسئلة فى نفس الاتجاهات المثمرة، حتي يستخلص جميع المعلومات المفيدة؟

هل كان يعقب بتعليقات دقيقة، ليعيد المقابلة فى الاتجاهات التي كانت أكثر ملاءمة للبحث؟ هل كان يدرك متي يكون من الأفضل أن يقترب من الأمور الدقيقة ويسبر ما فى الأعماق؟ وهل صاغ نصوص هذه الأسئلة بعناية؟ هل كانت نغمة صوته أو تعبيرات وجهه أو تركيب الأسئلة وتوقيتها تشير إلى الإجابات التي يفضلها؟ وهل تجنب لوم المفحوص أو كبته وكف عن إظهار أن إجابة

ما قد صدمته أو ضايقته أو لم ترضه؟ هل كان يبحث عن نفس المعلومات بطرق مختلفة أثناء المقابلة لكي يتحقق من صدق الاستجابات؟ هل تحقق من صحة بعض الإجابات بالرجوع إلى السجلات الرسمية؟ هل أنهي المقابلة قبل أن يصبح المفحوص متعبًا؟

الرابع: تسجيل البيانات:

هل استخدم المقابل استمارة أو بطاقة مقننة، أو نظامًا يمكِّنه من تسجيل الملاحظات بسرعة ودقة؟ هل سجل بوضوح نفس كلمات المفحوص وقت صدورها أم بعد المقابلة مباشرة؟ هل فكر فى استخدام شريط للتسجيل، مما يجعله متفرغًا أثناء المقابلة، ويمده بوسيلة للتحقق من الاستجابات فيما بعد، ويحافظ على الخواص الانفعالية والصوتية للإجابات، ويساعده على تجنب عمليات الحذف والتحريف والتغيير، وتجنب الأخطاء التي تحدث أحيانًا فى التقارير المكتوبة عن المقابلة؟ هل دوَّن المقابلة بما لاحظه من سلوك أو حالات لا تتفق مع إجابات المفحوص؟ هل قام بتسجيل المظاهر الانفعالية ذات الدلالة، وحالات التردد، واللعثمة، والسكتات أو الانتقالات الفجائية والكلمات التي تُصحَح بسرعة وعمليات الحذف الواضحة؟

إيجابيات المقابلة وحدودها:

تتميز المقابلة البحثية بإمكانية استخدامها فى الحالات التي يكون فيها المفحوصين على درجة كبيرة من الأمّية وعدم إجادتهم للقراءة والكتابة، بالإضافة إلى توُّفر عدد من المميزات التي لا توجد فى غيرها من أدوات البحث المتعارف عليها.

ومن هذه المميزات أو الإيجابيات على سبيل المثال:

(١) إمكانية الحصول على استجابات لكل البنود التي تتضمنها القائمة المعدة لذلك، حيث يحاول الباحث أن يحصل على كافة البيانات المراد معرفتها من

المفحوصين بوسائل شتي منها الإلحاح أو الإقناع، مما يجعله مرنًا فى شرح أهدافها ومتضمناتها وما قد يكون غامضًا منها.

(٢) إمكانية الحصول على المعلومات المراد معرفتها وفقًا لتسلسل البنود الواردة فى القائمة، أو وفقًا لترتيبها الذي وضعها عليه الباحث.

(٣) إمكانية الحصول على المعلومات المراد معرفتها بدرجة تكون أكثر دقة وتعبيرًا عن مشاعر المفحوص نفسه؛ لعدم تأثره بمشاورة غيره من الناس، ولقلة نسبة الفاقد فى إجابات البنود المستفسر عنها.

ومن ناحيةٍ أخرى يوجد عدد من الانتقادات التي توجه إلى استخدام المقابلة البحثية وتحد إلى حدٍ ما من إيجابياتها نذكر منها:

١- قد لا تتصف البيانات المُتحصّل عليها من المفحوصين بالموضوعية حيث قد تتأثر بالتحُّيز الشخصي Personal Bias من قبل الباحث نفسه سواء كان هذا التحيز ممثلًا فى تزييف الاستجابات الخاصة ببنود القائمة أو صياغتها من خلال وجهة نظره الشخصية.

٢- قد لا تصلح نهائيًا إذا تضمنت القائمة بنودًا حسَّاسة تثير الخجل فى الاستجابة عليها ولا سيما فيما يتعلق بالأمور الجنسية أو الدين أو الحياة الخاصة جدًا للمفحوصين.

٣- تتطلب كثيرا من الجهد والوقت والمال حيث قد تحتاج إلى عدد كبير من المساعدين الذين يقومون بالمقابلات لجمع البيانات، كما أنها قد تحتاج إلى مصروفات كثيرة تنفق على وسائل انتقالهم إلى الأماكن التي يوجد بها المفحوصون.(ماهر عمر، ١٩٨٨: ٦٢ ـ ٦٣).

والشكل التالى يشير إلى أنواع المقابلات الشخصية:

شكل (٨) أنواع المقابلات الشخصية

تقويم الاستبيانات والمقابلات كأداتين من أدوات جمع البيانات والمعلومات:

يتم تقويم البنود والفقرات والأسئلة والاستجابات المستمدة من كل من الاستبيانات والمقابلات من خمسة زوايا أو جوانب هى: المحتوى، والصياغة، والتسلسل وأشكال الاستجابات ومن حيث الاختبار المبدئى. وفيما يلى إشارة إلى أساليب التقويم الخمسة بشئ من التفصيل:

أولاً: من حيث محتوى الأسئلة:

(١) هل كان كل سؤال ضرورى بحيث لم يكن هناك مفر من توجيهه؟

(٢) هل تمت صياغة كل سؤال بدقة بحيث يستدعى الاستجابات المطلوبة؟

(٣) هل تغطى الأسئلة الصفات المميزة للبيانات المطلوبة تغطية كافية؟

(٤) هل توجه أية أسئلة ليس لدى الذين نطبق عليهم الاستبيان أو نجرى معهم المقابلة المعلومات اللازمة عنها؟

(٥) هل تتطلب طبيعة الاستبيان أو طبيعة المقابلة أن تكون هناك أسئلة أكثر تحديدًا للحصول على وصفٍ دقيق لسلوك الذى يجيب عن بنود الاستبيان أو يجيب عن أسئلة المقابلة؟

(٦) هل يجب أن توجد أنواع من الأسئلة العامة، لكى تستثير اتجاهات أو حقائق عامة؟

(٧) هل الأسئلة تتضمن تحيزات شخصية من جانب الباحث، أو تتركز فى اتجاه واحد، أو موجهة فى وقت غير مناسب؟

(٨) هل يقدم كل سؤال عددًا كافيًا من الاختيارات كى يتيح لمن يجيب عن الأسئلة أن يعبِّر عن نفسه تعبيرًا صحيحًا ودقيقًا؟

ثانيًا: من حيث صياغة الأسئلة:

(١) هل تمت صياغة كل سؤال فى لغة واضحة ومفهومة وغير غامضة أو مضللة؟

(٢) هل تركيب عبارات الاستبيان أو الجمل المستخدمة فى المقابلة موجز وبسيط؟

(٣) هل هناك أسئلة غامضة(أو مضللة) نتيجة عدم وجود الاختيارات المهمة، أو لوجود اختيارات سيئة التركيب؛ أو لعدم ملاءمة ترتيبها، أو عدم كفاية الإطار المرجعى؟.

(٤) هل تم استخدام كلمات أو عبارات نمطية، أو توحى بالتميز، أو بتفضيلات معينة بحيث تؤدى إلى تحيز الاستجابة؟

(٥) هل صيغت الأسئلة بحيث تضايق المفحوصين أو تحيرهم، أو تغضبهم، مما يدفعهم إلى تزييف إجاباتهم؟

(٦) هل صياغة الأسئلة التى يغلب عليها الطابع الشخصى بالنسبة للمفحوصين تكون أفضل لاستثارة المعلومات المطلوبة؟

ثالثًا: من حيث تسلسل الأسئلة:

(١) هل الأسئلة التمهيدية(المبدئية) تمهد لتلك الأسئلة التى تليها، وتساعد فى استدعاء الأفكار؛ أم أنها تثير موضوعات متلاحقة غير مناسبة ومربكة؟

(٢) هل تم تجميع الأسئلة فى مجموعات بحيث تحتفظ بانسياب تفكير المفحوص؟

(٣) هل تم ترتيب الأسئلة ترتيبًا استراتيجيًا بحيث تستثير الاهتمام، وتحافظ على الانتباه، وتتجنب المقاومة؟

(٤) هل أسئلة التتبع أو التعمق ضرورية؟

رابعًا: من حيث أشكال الاستجابات:

(١) هل الأفضل الحصول على استجابات فى صورة تتطلب علامة، أو درجة، أم كلمة أو اثنتين، أم كتابة عدد أم إجابة حرة؟

(٢) ما هو أفضل نوع من الأسئلة التى تتطلب وضع علامات؟ هل هى أسئلة التصنيف الثنائى، أم الاختيار من متعدد، أم التدريج بطريقة خماسية؟

(٣) هل من المرغوب فيه تحديد الدرجة عند إعطاء تقديرات للبنود باستخدام المقاييس الترتيبية أو مقاييس المسافات، أو النسب؟

(٤) هل التعليمات موجزة واضحة، ومكتوبة بجانب مواضع تطبيقها، وتجعل من السهل(اليسير) إتباعها بترك مسافات، أو أعمدة، أو مربعات مناسبة خالية؟ وهل من الضرورى وجود أية أمثلة؟

(٥) هل أعد الاستبيان أو أعدت المقابلة بطريقة معينة بحيث توفر السهولة والدقة فى تبويب البيانات؟

(٦) هل تم ترتيب استجابات الاختيار من متعدد ترتيبًا عشوائيًا بحيث تقلل احتمالات الأخطاء المنتظمة؟

خامسًا: من حيث الاختبار المبدئى(الأوَّلى) للوسيلة(الاستبيان أو المقابلة):

(١) هل تم إعطاء المفحوصين شرحًا وافيًا واضحًا للهدف من الدراسة(وبالتالى للهدف من تطبيق الوسيلة أو الأداة) والغرض المعين من كل سؤال أثناء فترة الاختبار المبدئى؟

(٢) هل تم التحقق من ثبات الاستجابات، بعد إعادة صياغة الوسيلة المقترحة؟

والشكل التالى يلخِّص أنماط تقويم الاستبيانات والمقابلات كأداتين من أدوات جمع البيانات والمعلومات:

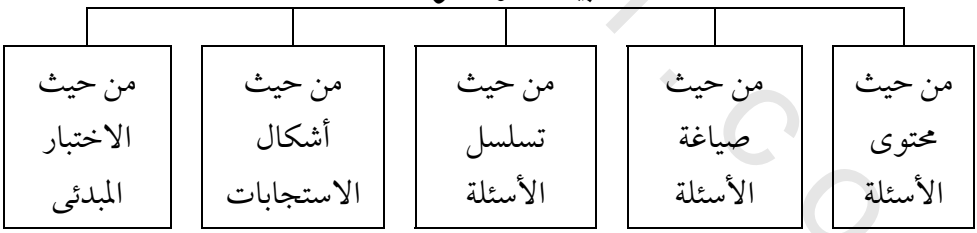

تقويم الاستبيانات والمقابلات كأداتين من أدوات جمع البيانات والمعلومات

(٩) الأساليب الإسقاطية Projective Techniques

الاختبارات الإسقاطية أو الفنيات الإسقاطية Projective Techniques هى من الوسائل والأساليب المهمة فى جمع المعلومات فى البحوث التربوية والنفسية

والاجتماعية وهى من نوع الاختبارات الإدراكية غير محددة البنية، ومهامها تسمح للمفحوص بإصدار عدد غير محدد من الاستجابات المحتملة، وتعليماتها تتسم بالعمومية التى تسمح للمفحوص بإطلاق عنان خياله، ومثيراتها فيها قدر من الغموض.

وتقوم على افتراض أن تنظيم الفرد لموقف غامض غير محدد يدل على إدراكه للعالم وعلى استجابته له. والأساليب أو الفنيات الإسقاطية تكشف عن تكوين شخصية الفرد واتجاهاته وما يعتمل فى لا شعوره، وتعتمد على إسقاط ما فى نفس الفرد وبخاصة ما فى اللاشعور على الموقف الذى أمامه.

ويذكر " فؤاد أبو حطب وسيد عثمان وآمال صادق "(١٩٨٧: ٤٧٠) أن الافتراض الكامن وراء هذه الأساليب أن الطريقة التى يدرك بها المفحوص مواد الاختبار ويفسرها ـ أى طريقة بنائه للموقف ـ سوف تعكس الجوانب الأساسية لتكوينه النفسى؛ أى أن مواد الاختبار سوف تعمل فى هذه الحالة كأنها شاشة عرض يسقط عليها الشخص آراءه، واتجاهاته، وطموحاته ومخاوفه، وصراعاته وعدوانيته وما إلى ذلك من جوانب.

وهناك أدوات كثيرة تستخدم لتحقيق هذا الغرض وتستخدم هنا كمثيرات تسمح للشخص سواء كان طفلًا أو مراهقًا أن يحملها معانيه الخاصة وتنظيمه ونزواته...إلخ، لأنها مثيرات غير واضحة، ولسنا هنا بصدد الإشارة إلى كل أنواع الاختبارات الإسقاطية ولكن يكفى أن نشير إلى أمثلة منها حين نتناول تصنيفاتها المختلفة.

وتستخدم الأساليب الإسقاطية على نطاق واسع فى معظم البحوث الكلينيكية وبعض الدراسات الأنثروبولوجية وبحوث علم النفس الاجتماعى ودراسات علم نفس النمو.

وتبتعد الأساليب الإسقاطية عن التأثيرات الذاتية كما هو الحال فى أساليب سابقة(كالملاحظة أو تسجيل تاريخ الحياة اليومية) فالقياس هنا موضوعى إلى حد كبير، حيث تتم استثارة المفحوص بطريقة غير مباشرة تجعله يعكس جوانب

شخصيته أثناء الاستجابة. وهناك مقاييس كثيرة تعتبر إسقاطية ليس هنا مجال الحديث عنها بالتفصيل.

تصنيف الأساليب والفنيات الإسقاطية:

ينقل " فؤاد أبو حطب وآمال صادق "(١٩٩٦: ١٦٢) عن " ليندزى" Lindzey(1959)، أنه يُصنِّف الأساليب والفنيات الإسقاطية فى ضوء خمس فئات أساسية من الاستجابة هى:

الأولى: استجابة التداعى باستخدام الكلمات أو بقع الحبر.

الثانية: استجابة البناء والتركيب باستخدام القصص والصور.

الثالثة: استجابة التكملة باستخدام الجمل الناقصة أو الأشكال غير المكتملة.

الرابعة: استجابة الترتيب لعناصر لفظية أو مصورة.

الخامسة: استجابة التعبير من خلال الرسم، أو اللعب، أو الموسيقى.

وفى الفقرات التالية يشير المؤلف إلى بعض الاختبارات الإسقاطية الأكثر استخدامًا فى مجال البحوث الإسقاطية.

(١) اختبار تداعى الكلمات:

تعد هذه الطريقة أول طريقة إسقاطية استخدمها البحاث. وربما يرجع هذا إلى ما كان للارتباطات والنظرية الترابطية من أهمية فى علم نفس القرن التاسع عشر، ولقد قام " يونج " بمحاولة ليجعل من هذه الوسيلة طريقة منهجية تسمح بالكشف عن مواطن الصراع. وفى هذه الطريقة يطلب الكلينيكى إلى الشخص أن يجيب على الكلمة المقترحة بأول كلمة ترد إلى ذهنه، فيسجل الكلينيكى الإجابة وزمن الرجع وبعض الملاحظات المتصلة بالسلوك الإجمالى للشخص، ولكن هذه الطريقة لا تستخدم فى الوقت الحاضر إلا نادرًا، سيان فى صورتها القديمة التى تستند إلى قوائم من الكلمات المعدة من قبل أو فى صورتها الحديثة حيث تقود الكلمة المعطاة للمفحوص إلى كلمة يجيب بها فنقدمها إليه من جديد فتقود إلى كلمة جديدة

وهكذا على نحو ما يحدث فى تفسير الأحلام. فكلا الطريقتين قليل الفاعلية بالقياس إلى الطرائق الأخرى المتاحة.

ويخطئ البعض ولا شك حين يتوهم بساطة الظاهرة هنا، فتدخّل ميكانزمات الدفاع والمقاومة فى شتى صورها يبعُد بها عن البساطة المزعومة، فحين تتلاحق الكلمات المقترحة بصورة سريعة يمكن للدفاعات أمام الكلمة الهامة أن تضطلع بتأجيل الاستجابة الحقيقية فيستجيب فى التو بكلمة حيادية بينما يستجيب بعد كلمتين أو ثلاث كلمات، بالكلمة التى اضطلعت المقاومة بتأجيلها. ومعنى هذا أن الإجابة الحقة لا تظهر أمام كلمتها وإنما أمام كلمة أخرى من الكلمات التالية. وثمة صور أخرى للمقاومة منها أن يجيب الشخص بكلمة مرادفة أو باسم النوع الذى تدخل الكلمة تحته أو بتعبير من التعبيرات الثقافية الشائعة وما إلى ذلك من استجابات منطقية دفاعية. وهكذا تعتبر اختبارات تداعى الكلمات مسائلة تاريخية ليس غير.

(٢) اختبار إكمال الجمل وإتمام القصص:

نقوم فى العادة بتقديم جملة ناقصة إلى المفحوص ونطلب إليه أن يقوم بإكمالها على النحو الذى نجده فى اختبار " ساكس"، وعادةً ما تشتمل الجملة على كلمة هامة ضمن إطار موجه من قبيل " كنت أتمنى لو كان أبى. "، " أشعر بالقلق عندما.."، " يعترينى الشعور بالذنب إذا.." إلخ. وكذلك الحال بالنسبة إلى إتمام القصص عندما نقدم إلى المفحوص عبارة تصلح بداية للعديد من القصص وذلك من قبيل " وكانت الشمس على وشك الغروب عندما انطلق الزورق بى وهى تجلس إلى جانبى على صفحة النيل الهادئة.."، و" أخيرًا استطعت الحصول على العصا السحرية وأمسكت بها.. ". وهذه الاختبارات وخصوصًا فى صورة إتمام القصص لا تختلف فى شئ عن اختبارات التات وإن كانت أقل شمولًا بالقياس إليه، إنها تفيد فى الحصول على فكرة استطلاعية عن المفحوص بالإضافة إلى سهولة اندماجه فيها بحيث لا يتنبه إلى الطابع المصطنع لموقف الاختبار. ومن الأفضل

تطبيقها عن طريق الكتابة ومن الممكن استخدامها بصورة جماعية ولكنها على أية حال تعد محدودة النتائج بالقياس إلى التات.

(٣) اختبار الرورشاخ:

تتلخص فكرة الرورشاخ فى استخدام بقع الحبر للكشف عن العمليات النفسية التى تميز شخصية الفرد الذى يقوم بإدراكها. ولقد كان تأويل البقع يستخدم فى القديم للتنبؤ بالمستقبل مما نجد بعض مخلفاته فى تأويل رواسب القهوة والزاج الأبيض(الشبّة الزفرة).ولقد نبه " بارتلت " عام ١٩٠٦ إلى وجود وصلة بين نوع الإجابة التى يقدمها الشخص وبين حياته العاطفية الخاصة.

ومن المعلوم أن رورشاخ قد انتهى إلى لوحاته العشر بعد عشرة أعوام من التجريب الأعمى. ويستند هذا الاختبار أساسًا إلى تأويل الأساليب الإدراكية فلا يلعب تأويل المضمون إلا دورًا ثانويًا. وعلى الرغم مما يطبع هذا الاختبار من اهتمام بحساب الدرجات فإنه مع ذلك اختبار دينامى فى صميمه، ينتهى بنا إلى لوحة كلينيكية تشخيصية.

تعتبر هذه الإجابات بمثابة عينة لطريقة الشخص فى الاستجابة إزاء جملة من مواقف الحياة المختلفة، لقد كانت تأويلات رورشاخ كما قلنا تستهدف فى البداية التشخيص الفارق لمختلف صور العصاب، فكان ينتهى إلى تشخيص نوع العصاب عند الفرد. ونظرًا لأن لوحات الاختبار لا تتيح تدخل الدفاعات فقد وفق الرورشاخ إلى حدٍ كبير فى تحقيق ما كان يستهدفه.

ومن الصحيح أن رورشاخ قد نحا بتفكيره منحى أقرب إلى التنميمية منه إلى الدينامية. ولعل هذا يرجع إلى ما كان سائدًا فى ألمانيا من دراسات تنميطية تستهدف تصنيف الشخصيات فى أنماط. فعلى سبيل المثال نجد أن تأويل الإجابات تأويلًا يستند إلى المنطقة يساير النزعة الشائعة عند علماء الأنماط والتى ترى فى الإجابات الإجمالية التى تنصب على البقعة كلها ما يشير إلى الميل إلى التجريد والتعميم، بينما تفصيل الأجزاء يشير إلى النزعات العملية أما الإغراق فى التفاصيل فإنه يشير إلى

عدم السوية، وكذلك فكرة التقابل ما بين الشكل واللون فإنها من الأفكار الشائعة فى علم النفس الألمانى حيث يرتبط اللون بالانبساطية الاندفاعية والهستيرية بينما الشكل يرتبط بالجوانية العقلانية والقهرية. أما الإجابات التى تستند إلى الحركة(الكنيستيزيا) فتشير إلى ثراء الإمكانيات الداخلية والاستعدادات الطبيعية الجوانية. ولكن مهما يكن من أمر هذه النظرات التنميطية والاعتماد على الأرقام والإحصاء. فإن الاختبار يستند فى أساسه إلى الدينامية بمعنى الأساليب الإدراكية التى يستجيب بها الشخص إزاء مواقف الحياة. ويتضح ذلك من أن الاختبار لا ينتهى إلى مجرد تحديد نمط للشخص ولا تحديد مكانه بالنسبة إلى الآخرين وإنما يقدم عنه لوحة كلينيكية تشخيصية.

تتباين طريقة استخدام هذا الاختبار على الرغم من محاولات عديدة لتوحيدها إلى حد أن الرموز المستخدمة ما زالت تختلف من بلد إلى آخر، فبينما يفضل البعض أن يستلقى الشخص أثناء إجابته نجد البعض الآخر يفضل أن يجلس الشخص فى مواجهته ويفضل البعض الثالث أن يكون إلى الوراء من الشخص ليستطيع النظر إلى اللوحة فى استبعاد للخجل أو الحرج. وتحرص الغالبية على استبعاد العوامل الدخيلة التى قد تؤثر على طبيعة الإجابات وذلك كالأصوات أو الإضاءة غير العادية، وأما قياس زمن الرجع فيتم بدقة بالنسبة إلى كل إجابة وكل لوحة.

أما صعوبة إفهام الشخص ما ينبغى أن يفعله تدفع البعض إلى التضحية باللوحة الأولى ليتخذها مثالًا يشرح عليه. ولكن هذا يؤثر على التأويل فى تتابعه التلقائى الذى أراده له رورشاخ. ومن هنا فإن الغالبية تتبع طريقة " كلوبفير" فى التوضيح بعبارة كهذه: " كثير من الناس يرى فى هذه البقعة كثرة من الأشياء فماذا ترى أنت؟ " وينبغى أن يحرص الأخصائى على ان يتبع طريقة موحدة بعينها فى تقديم اللوحات إلى الشخص فلا يقدم الواحدة مثلًا معدولة والأخرى مقلوبة وإن كان عليه أن يترك الحرية للشخص فى أن يغير من اتجاه اللوحة كما يشاء.

وثمة مشكلة تتصل بصعوبة تحديد الشكل بمعنى تحديد المنطقة التى ينصب عليها إدراك الشكل، فلو طلبنا إلى الشخص أن يحدد المنطقة فى نهاية كل لوحة فإن

ذلك سيؤثر ولا شك على تتابع الإجابات. أما إذا طلبنا إليه ذلك فى نهاية الاختبار فستتعرض تحديداته لتأثير الذاكرة والنسيان، ومع هذا فالغالبية تفضل اتباع هذا الحل الأخير. أما فيما يتصل بالأشكال الشائعة فإن البعض لا يتحرج من أن يوحى إلى الشخص بها حتى يتبين ما إن كان الشخص قد رآها وأحجم عن الإدلاء بها لتفاهتها وظهورها الواضح أو أنه حقًا لم ينتبه إليها.

ويتم تسجيل الإجابات باستخدام الرموز، فلو أدرك الشخص البقعة كلها فى إجمالها سجلنا بالإنجليزية W، أو بالفرنسية G، ولو انصب إدراكه على جزء كبير سجلنا D، أما فى حالة جزء تفصيلى أو قليل الأهمية فنسجل DD، وهذه الحالة الأخيرة يمكن أن تتخذ صورًا مختلفة فلو أدرك الشخص أرضية اللوحة على أنها الشكل سجلنا dd-d1 إلى غير ذلك.

(٤) اختبار التات: (إدراك الثيمات) [1]

ابتدع " مورای ومرجان " هذا الاختبار عام ١٩٣٥، وهو يتألف من ثلاثين لوحة تشتمل كل واحدة فى الغالب على منظر به شخص أو جملة أشخاص فى مواقف غير محددة مما يسمح بإدراكها على أنحاء مختلفة وبينها لوحة بيضاء. بعض هذه اللوحات خاص بجميع الذكور ويحمل الرمز B.M " ص. ر"، وبعضها الآخر خاص بالذكور فيما فوق ١٤ سنة ويحمل الرمز M " ر" بينما بعضها الثالث خاص بالذكور فيما تحت ١٤ سنة ويحمل الرمز B " ص ". وهناك لوحات خاصة بجميع الإناث وتحمل الرمز GF " ب. أ "، بينما توجد لوحات خاصة بالإناث فوق ١٤ سنة وتحمل الرمز F " أ " ولوحات خاصة بالإناث تحت ١٤ سنة وتحمل الرمز G " ب ". ويرى " مخيمر" عدم ضرورة الالتزام بهذه التحديدات، فكثيرًا ما يتوحد الرجال ببطلات القصص وتتوحد النساء بأبطال القصص، فليست العبرة فى الذكورة والأنوثة بالأساس التشريحى بل بغلبة السادية أو المازوشية.

نطلب إلى الشخص أن يبتدع قصة عن منظر اللوحة ونفهمه أن القصة لابد وأن

---

(١) الثيما : تعنى الموضوع المحورى الذى تدور حوله الأحداث، ومن هنا يحسن تسمية التات باختبار إدراك الثيمات، فتلك تسمية أدق من الإدراك الداخلى للموضوع ومن اختبار تفهم الموضوع .

تنطوى على ماضى نتبين منه ما حدث حتى أصبح الموقف على ما هو عليه الآن، كما لابد وأن تنطوى القصة على نهاية توضح ما ستنتهى إليه الأحداث. نعطى اللوحات العشرين على جلستين تستمر كل منها ساعة ولا يحدد عادةً وقت لكل لوحة، ولكننا نحاول عندما يقف الشخص عند مجرد وصف اللوحة أن نستثيره بأسئلة من قبيل " كيف؟ "، و " متى؟ "، و " ما السبب؟ "، " ثم ماذا؟ ".. إلخ، أما فيما يتصل باللوحة البيضاء فنطلب إلى الشخص أن يتخيل بنفسه المنظر ثم يبتدع بعد ذلك قصة عنه. وينبغى فى رأى " مخيمر" أن تكون الإجابة كتابةً لما ينطوى عليه الشطب والخطأ والتصحيح من دلالة! كما يستحسن إن أمكن أن يعطى المفحوص لكل قصة العنوان الذى يراه. وقد سبق أن رأينا ما يشير به " مخيمر" من ضرورة تكيف الكلينيكى مع كل حالة وإن كان يفضل فى العادة أن تبدأ القصص باللوحتين(١٠، ١٣) لتبين اتجاه المفحوص من العاطفية والإنسالية ثم يأتى دور اللوحة(واحد) لتبين موقفه من الخصاء وبعد ذلك تأتى اللوحتان(٦) و(٧) تبعًا لجنس المفحوص لتبين موقفه من الأوديبية، مما يعتبر أساسيًا لتفسير اللوحات السابقة واللاحقة. يكون بعد ذلك الانتقال إلى اللوحة(٨ ص ر) لتبين العدوانية، ثم يأتى دور اللوحتين(٩)،(١٢) تبعًا لجنس المفحوص لتبين موقفه من الجنسية المثلية، وتبعًا للحاجة يمكن أن ننتقل إلى اللوحتين(١١)،(١٨ ص. ر) لتبين موقف المفحوص من القلق، ثم إلى اللوحة(١٢ ص. ب) لتبين موقفه من التفاؤل، وأخيرًا تكون اللوحة(١٥) التى يمكن أن تحدد موقفه من التشاؤم.

وتبعًا للحالة أيضًا يمكن الاستعانة بطريقة إتمام القصص بحيث نعطى للمفحوص عبارة تنطوى على إطار موجه ويكون عليه بعد ذلك إتمام القصة. وقد استخدم " مخيمر" التات اللفظى مع العميان ثم مع المبصرين فكشف عن فاعلية لا تختلف بحال عما يمكن أن يكون عليه الأمر عند استخدام لوحات التات.

وينبغى تسجيل ملاحظات عن السلوك الإجمالى للشخص، وعن مناسبات التردد أو الصمت وعلامات الدهشة والتعليقات المختلفة. ويمكن بعد الانتهاء من الاختبار أن نستوضح الشخص ما نرى ضرورة استيضاحه من نقاط. ولابد لفهم

الإجابات وتشخيص الحالة من أن نطلب إلى الشخص الكثير من المعطيات عن تاريخ حياته. وينبغى أن ننظر إلى الإجابات وسلوك الشخص بحسبانها وحدة كلية. وينبغى التنبه إلى أن التات اختبار كلينيكى بمعنى الكلمة يستند فى تأويله إلى مفاهيم السيكوديناميةبعيدًا كل البعد عن حساب التواترات الذى تقوم عليه استمارة " بيلاك ". ومن هنا فإن تأويل قصص التات يحتاج فى العادة إلى كلينيكى متمرس لا يشرع فى التأويل إلا بعد أن يفرغ من تاريخ الحالة ومن قراءة لكل القصص التى كتبها المفحوص. فكثيرًا ما تنطوى قصة لاحقة على مفتاح التأويل الدقيق لقصة سابقة، وكذلك الحال بالنسبة إلى معطيات تاريخ الحياة وما يتمخض عنه تفسير بعض أحلامه.

أسس التقييم باستخدام الطرق الإسقاطية:

ويرى البعض أن هناك أربعة أسس تفيد فى عمليات التقييم باتباع الطرق الإسقاطية هى:

١- تعتبر هذه الطرق حرة وبعيدة عن المؤثرات البيئية أو الثقافية.

٢- يسهل استجابة المفحوص لهذه الطرق مما يساعد على سرعة كشف مميزاته وخصائصه.

٣- لا يجب أن تستخدم تلك الطرق فى جو رسمى بحيث يسبب هذا الجو نوعًا من التوتر لدى المفحوص.

٤- يمكن استخدام تلك الطرق بجانب بعض الطرق الأخرى كالملاحظة[1].

---

(١) من المحاولات الرائدة في استخدام اختبارات لعب الأطفال TOY TESTS محاولة " لوين فيلد " LOWEN FELD في انجلترا عام ١٩٣٩، وقد تم تعديل هذا الاختبار ومراجعته وتقنيته بواسطة " بوهلر " BUHLER" وزملائه سنة ١٩٥١، وبولجار وفيشر Fischer &BOLGAR عام 1947، ويتكون هذا الاختبار الإسقاطي من ١٥٠- ٣٠٠ شكل مختلف كالمنازل والأفراد، والحيوانات والأشجار، والسيارات وأشياء أخرى موجودة خارج المنزل وداخله، ويطلب من الأطفال بناء كل شيء يحبونه مستخدمين في ذلك هذه الأدوات ومنضدة كبيرة. وقد استخدم هذا الاختبار بنجاح في تشخيص اضطرابات الأطفال وعلاجهم عن طريق أسلوب اللعب (انظر: طلعت حسن عبد الرحيم، ١٩٩٠، اختبارات اللعب ص٩٧).

وتستند الأساليب الإسقاطية ـ بصفة عامة ـ على افتراض مؤداه أن الأطفال يمكن أن يكشفوا عن رغباتهم، اهتماماتهم، اتجاهاتهم، كراهياتهم، صراعاتهم العاطفية على نحوٍ أكثر وضوحًا،عندما ينخرطون فى أنشطة خاصة بالتعبير الحر. فالبواعث والصراعات المستترة أو الكامنة يمكن أن تصبح ظاهرة خلال مختلف أشكال التعبير، كاللعب بالدمى، الرسوم، بقع الحبر، والنحت، وتحديد الصور المبهمة أو الغامضة والتعرف عليها. والقصص المكتوبة والشفهية.

وقد قام الباحثون بتصميم عدد من الأساليب الإسقاطية ـ كلعب الدمى أو العرائس وغير ذلك من مواقف بيئية حرة نسبيًا، بهدف تجنب أو تلافى المصاعب الكامنة فى طبيعة التعبير اللفظى، الذى قد تتطلبه بعض أدوات جمع البيانات كالمقابلة مثلًا. واستخدمت هذه الأساليب بالفعل فى دراسة سمات شخصية الأطفال وخصائصهم الاجتماعية، وقد تقبل الباحثون فى مجال علم نفس النمو الطرق الإسقاطية الحديثة التى نشأت على نحو مباشر من مفاهيم التحليل النفسى. ومن ثم فقد استخدمت هذه الطرق على نطاق واسع كأداة من أدوات البحث فى هذا المجال، الأمر الذى أدى إلى زيادة فهمنا لصراعات الأطفال، ومشاعر العدوان لديهم، وما قد يعانون من مشكلات نفسية.

حدود الأساليب الإسقاطية:

والأساليب الإسقاطية شأنها فى ذلك شأن أدوات جمع البيانات بصفة عامة قد يوجَّه إليها بعض الانتقادات إلا أنها مع ذلك تتمتع بعديد من المميزات، وهذا يمكن توضيحه على الوجه التالى: تتميز الأساليب الإسقاطية عن غيرها من الأدوات بخصائص من أهمها:

أ ـ عدم إدراك المفحوص للهدف من الاختبار الإسقاطى فهى أقل قابلية للتزييف.

ب ـ ثراء الاستجابات التى تصدر عن المبحوث أو المفحوص.

ج ـ حساسية الكشف عن بعض الجوانب اللاشعورية الكامنة فى الشخصية.

د ـ تكشف عن بعض جوانب الشخصية.

هـ ـ تتسم هذه الأساليب بالتحرر من مؤثرات البيئة الثقافية والحضارية والاجتماعية فهى اختبارات غير متحيزة ثقافيًا: Culture Fair Tests(طلعت عبد الرحيم، ١٩٩٠: ٩٥ ـ ٩٦).

أما أوجه الانتقادات التى توجه إلى هذه الأداة فهى أن البعض يرى أنه من الصعب عادة تقييم الأساليب الإسقاطية بدقة، وذلك بسبب المشكلة الخاصة بإمكانية التحقق من صدق ما يمكن أن يتوصل إليه الباحث من استنتاجات أو استدلالات؛ إذ أن هذه الاستنتاجات تبدو بعيدة عادة عن البيانات المستخدمة فى التوصل إليها. ومع ذلك –فقد قطعت الطرق والأساليب الإسقاطية شوطًا كبيرًا نحو حل مثل هذه المشكلات النظرية ـ المنهجية.

(١٠) مقاييس التقدير Rating Scales:

يشير "كيرلينير" Kerlenyer إلى أن مقاييس التقدير تعطى أحكامًا على السلوك المدرك عن طريق الحواس فى دراسة نمو الطفل. ويكون قياس أو تقدير الصفة المدروسة بوضع إشارة(√) إلى جانب الإجابة التى يراها أكثر انطباقًا وهى كالتالي:

(١) دائمًا.(٢) أحيانًا.(٣) نادرًا.(٤) أبدًا.

وتقوم هذه الأداة على افتراض مؤداه أن هناك الكثير من جوانب الحياة العقلية المعقدة لا يخضع للقياس المباشر. ومن ثم يمكن دراستها بطرق محدودة بواسطة الاختبار. ولتحليلها كثيرًا ما نستخدم مقاييس التقدير. وتنقسم تلك المقاييس عادة إلى نوعين مهمين: الأول المقارنة المباشرة أو غير المباشرة بين الأفراد وذلك للمؤثرات أو الصفات أو للاستجابات موضع الدراسة، والثانية عمل مستويات لجوانب الحياة أو لسلوك الفرد، ووضع الطفل فى المستوى الخاص به.

ويعتبر إجراء الترتيب Ranking Procedure أقل طرق التقدير تعقيدًا وهو يمثل أداة للقياس يستخدمها كل فرد يكون بصدد إجراء مقارنات بين سلوكين أو أكثر فى حياته اليومية. وعندما يُستخدم هذا الإجراء فى مجال علم نفس النمو. فإن الباحث

لابد أن يلاحظ الأطفال فترة زمنية ـ قد تطول إلى عدة أيام ـ ثم يحدد لأولئك الأطفال مواضع ترتيب تدريجية: Rank Order Position(أى يحدد الأول، الثانى، الثالث، وهكذا) فيما يتعلق بسمة معينة من سمات الشخصية كالابتكارية مثلًا. ونظرًا لعدم وجود اختبار مقنن لقياس الابتكارية فإن مثل هذا الترتيب التقريبى يمكن أن يكون أكثر نفعًا وفاعلية من الملاحظات العابرة غير المنظمة ويمكن استخدام هذه الترتيبات كمحك لقياس صدق مقاييس أخرى تصمم لقياس هذه الصفة أو الخاصية.

وتوفر مقاييس التقدير ـ على الرغم من أنها تمثل أدوات بسيطة ـ بيانات مفيدة عن سلوك الأطفال ونموهم النفسى. ويمكن أن نتصور بسهولة أن كل من إجراءات الترتيب والتقدير لها حدودها كأداة علمية، ولعل من أهم هذه الحدود وأخطرها تأثيرًا آراء الملاحظ المسبقة وتحيزاته على ما يبديه من تقديرات وهذه أمور يصعب استبعادها وتجاهلها. وقد يكون بعض الملاحظين على دراية وعلم بأبعاد سلوكية معينة، أكثر من علمهم ودرايتهم بأبعاد سلوكية أخرى. ومن ثم تأتى بعض التقديرات أكثر نفعًا من بعضها الآخر. أضف إلى ذلك غياب الموضوعية فى هذه الطريقة إلى حد كبير، إذ قد تؤثر الانطباعات العامة للشخصية على القائم بعملية التقدير المشار إليها، كما أن ذاتية الباحث قد تفرض نفسها فمثلًا إذا أعجب الباحث سلوك أحد الأطفال أثناء الملاحظة فإنه يكون أكثر ميلًا إلى أن يقُدّر سلوك هذا الطفل بالإيجاب، وإذا كره طالبًا فيكون أكثر ميلًا لأن يقدر سلوك هذا الطالب بالسلب. إلا أنها على أية حال مقاييس سهلة الاستخدام وتحتاج إلى وقت أقل من الطرق الأخرى لتنفيذها ويمكن تطبيقها بشكل فردى أو جماعي.

وعلى الرغم مما يمكن أن تنطوى عليه البيانات التى نحصل عليها من استخدام مقاييس التقدير من دقة كبيرة فى الظاهر بسبب ما توفره من قيم وما تتيحه من تحليلات إحصائية. فإن الباحث ينبغى ألا يقصر نفسه فى دائرتها، بل يحاول أن يحصل على ما يتطلع إليه من بيانات مستخدمًا طرقًا وأساليب أخرى.

(١١) الاختبارات والمقاييس Tests and Scales:

لئن كان البحث فى ظاهرة النمو يستهدف ـ أساسًا ـ تحديد معايير نمو الإنسان حتى يستطيع رعايته وتوجيه مساره، فإنه يترتب على ذلك أن نجد الباحثين لا يكتفون بمجرد الوصف الظاهرى لمختلف جوانبه عن طريق ملاحظة التغيرات التى تطرأ عليها بفعل النمو، وإنما يحاولون أن يحددوها كميًا، مما يسهل المقارنة ويبين بدقة مدى النمو، وهم فى ذلك يقسمون مسار هذا النمو إلى وحدات مقننة متعارف عليها مستخدمين المقاييس والاختبارات السيكولوجية المختلفة المقننة- التى تتمتع بالصدق والثبات-كوسائل موضوعية دقيقة لقياس سمات سلوكية معينة لدى الطفل، أو متابعة هذه السمة قياسًا وتحديدًا بطريقة كمية. ومن بين المقاييس والاختبارات المستخدمة فى هذا الصدد ما يلى:

أ ـ فى الناحية الجسمية: توجد مقاييس الوزن، الطول، النمو العضلي.

ب ـ فى الناحية الحركية: نجد مقاييس المشى، الجرى، زمن الرجع Time of Reaction.[1]

---

(١) تتطلب المهارات الحركية تتابعًا فى الأفعال وبالتالى يكون لها أبعادًا ومنية ويسمى ذلك "زمن الرجع" "REACTION TIME" وعادة ما يحدث ذلك مع عناصر ومركبات عديدة. وأحد هذه العناصر هو وقت الحركة MOVEMENT TIME وهو الوقت الذى ينقضى بين بداية الفعل ونهايته، وعنصر آخر يسمى وقت القرار DECISION TIME وهو الوقت الذى ينقضى بين مثير الفعل والحركة الأولى.ولقد أشارت عديد من الدراسات فى هذا المجال أنه بتقدم الأعمار الزمنية للأطفال نجد بالتالى اختلافًا فى تقدير وأوقات حركاتهم ففى إحدى الدراسات أعطى الأطفال فيما بين ٤-١٦ سنة مهمتان لقياس زمن الرجع، فى إحدى هذه المهام قدمت عشر أنغام مرتفعة، وعشر أنغام منخفضة وذلك على فترات متدرجة من ١٠-٢٥ ثانية، وسُئِلَت الحالات أن تضغط على أزرار بأقصى سرعة ممكنة عند تغيير النغم وفى المهمة الثانية سُئلت الحالات أن تضغط على الزرار بأقصى سرعة ممكنة عند سماعهم النغمة العالية فقط، وأعطى كل طفل درجتان واحدة لسرعة الاستجابة والأخرى لتنوع الاستجابة من محاولة لأخرى. ولقد وجد أن هناك نقصانًا تدريجيًا فى زمن رد الفعل مع التقدم فى العمر الزمنى فبالنسبة للأطفال الصغار كانت حركة زمن الرجع تستغرق ٧٥ ثانية وبالنسبة للأطفال الأكبر كانت ٢٥ ثانية، ولقد حدث النقصان الأكبر فى وقت حركة زمن الرجع

جـ ـ فى الناحية الحسية: نجد اختبارات السمع والبصر واللمس والإحساس بالضغط.

د ـ فى الناحية العقلية المعرفية: نجد اختبارات القدرات(الذكاء والقدرات الطائفية) والتحصيل والتفكير والانتباه والتذكر.

هـ ـ فى الناحية الانفعالية: نجد اختبار السلوك الاجتماعى والنضج الاجتماعى(فاينلاند)، والسلوك التكيفى والمكانة السوسيومترية للفرد داخل جماعة الفصل أو جماعة النشاط.

ز ـ فى جانب الشخصية ككل: نجد اختبارات السمات(كاتل، أيزنك) واختبار الشخصية المتعدد الأوجه والاختبارات الإسقاطية مثل اختبار رورشاخ وتفهم الموضوع للكبار و الصغار(التات والكات) واختبارات اللعب(عبد الفتاح صابر، ١٩٨٨: ٥٢ ـ ٥٣).

وبصفة عامة يمكن القول أن الاختبارات النفسية والمقاييس توفر معلومات مفيدة فى التطبيق العملى فى مجال توجيه الأطفال، كما أنها تفيد كثيرًا فى الدراسة المقارنة لنمو قدرات الأطفال أو سمات شخصياتهم فى المراحل المختلفة أو فى القطاعات البيئية المختلفة. كما أنها توفر بيانات مهمة للغاية بالنسبة للباحثين الذين يسعون لدراسة العلاقات المتبادلة بين جوانب سلوك الأطفال، وتأثير مختلف الظروف البيئية على النمو النفسى للأطفال، ويوجد لدى علماء نفس النمو سعيًا دائمًا ومتصلًا بهدف التوصل إلى مقاييس إضافية جديدة لقياس الأبعاد المتعددة(المركبة) فى سلوك الأطفال ونموهم. وهم فى سعى مستمر أيضًا بهدف التوصل إلى أساليب إجرائية وقياسية، يمكن أن تحسن أو تزيد من ثبات وفعالية ما يتوافر لدينا حاليًا من اختبارات ومقاييس.

(زمن رد الفعل) فيما بين ٤-٩ سنوات كما كانت النتائج متشابهة فى مهمة وقت تقرير زمن الرجع حيث أشارت أن الزمن المستغرق كان ١.٣ دقيقة بالنسبة للأطفال الصغار وكانت ٣٥ ثانية بالنسبة للأطفال الكبار (عادل الأشول، ١٩٨٢، ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

كلمة ختامية:

هذه بعض الأدوات والوسائل البحثية التى يلجأ إليها الباحثون فى المجالات التربوية والنفسية والاجتماعية فى دراساتهم للأطفال والمراهقين والراشدين وحتى المسنين. ويجب أن نشير هنا إلى أن كل أداة من هذه الأدوات وكل وسيلة من تلك الوسائل لها عيوبها ونقائصها، بل هناك بعض العقبات التى قد تعترض تطبيق بعضها فى ظروف خاصة.

وعلى هذا فمن الأفضل أن يستخدم البحث أكثر من أداة واحدة، بل تكاد الدراسات المستفيضة الواعية لا تخلو من اشتمالها على أكثر من أداة واحدة، وبذلك تمدنا هذه الأدوات وتلك الوسائل بالمعلومات والحقائق العلمية التي تتسم بالأصالة والجدة والموضوعية عن السلوك الإنساني وخصائصه.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الأدوات تطبق أو تستخدم إذا توفرت فيها الشروط التى حددها الباحثون والمتخصصون على اختلاف منطلقاتهم النظرية. والشكل التالى يلخص الشروط الواجب توفرها فى أدات جمع البيانات.

obeikandl.com

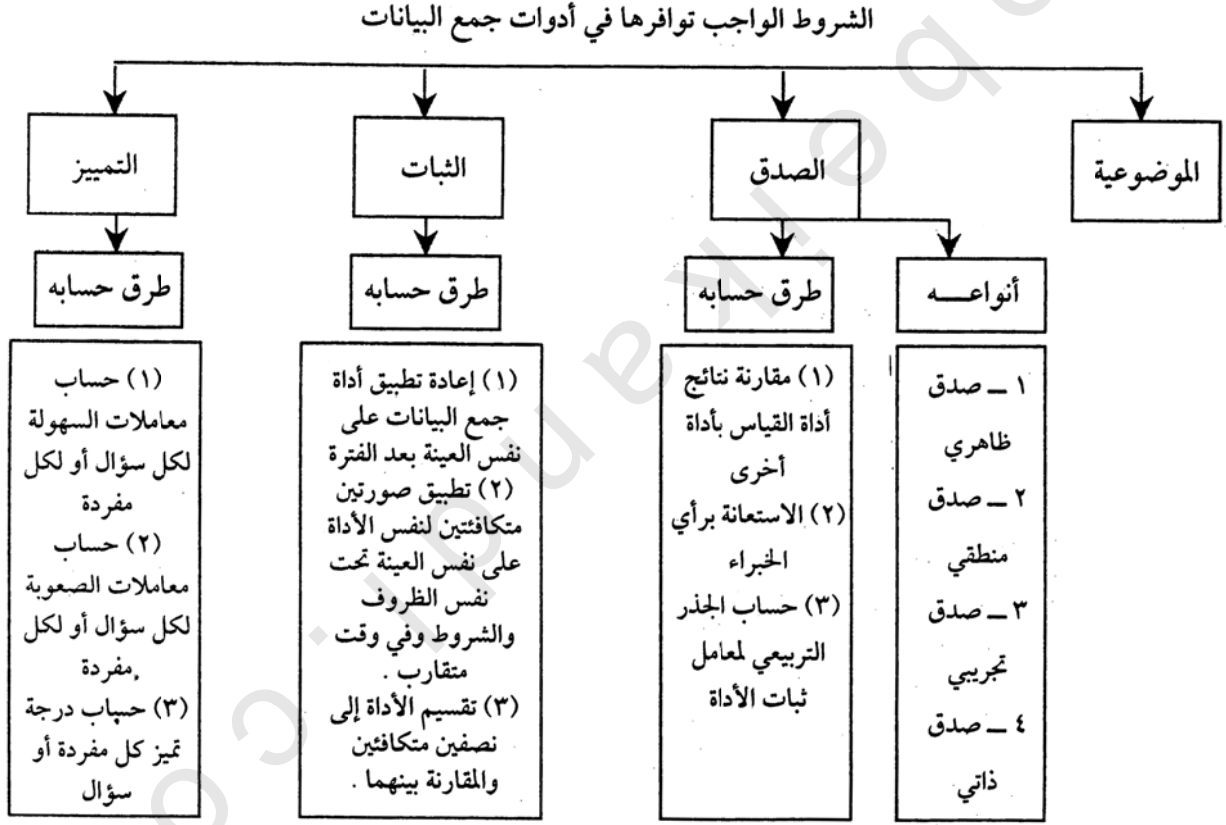

شكل (٨) الشروط الواجب توافرها في أدوات جمع البيانات